- وكتاب (التوحيد الذي هو حق الله علي العبيد) هو لمصنفه الإمام المصلح محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله تعالي – وقد صنف كثيرا من التصانيف في توحيد الأنبياء والمرسلين ، والرد علي من خالفه من المشركين ، ومن جملتها هذا الكتاب الذي نحن بصدد شرحه ، وهو كتاب فرد في معناه لم يسبقه إلي تصنيفه وترتيبه وجمعه بهذه الطريقة سابق ولا لحقه فيه لاحق حتي صار علما للموحدين وحجة علي المشركين ، فباعتبار التصنيف هو أول من جمع مسائل توحيد العبادة هذا الجمع النفيس ، وأما باعتبار المادة فهي موجودة مأخوذة من القرآن والسنة بلا ريب .

وموضوع هذا الكتاب أمران : بيان توحيد العبادة ، وإبطال ضده من الشرك والتنديد ، وسأبين فيه أثناء الشرح مع ذلك - إن شاء الله تعالي - عقيدة أهل السنة والجماعة في الإيمان بالملائكة والكتب والرسل واليوم الآخر والقدر ، وقد تطرق المصنف إلي كثير منها في الكتاب .

ولا نجاة للعبد إلا بتعلم التوحيد والشرك ، فيتعلم التوحيد ليعمل به ويتعلم الشرك ليحذره ،والفرق بينهما أن تعلم التوحيد يكون إجمالا وتفصيلا فيحيط العبد بمعاقد أصوله وتفاصيل فصوله ، وأما تعلم الشرك فيكفي فيه معرفة أصوله الكلية ؛ لأن تفاصيله ليست مطلوبة من العبد ولا تتناهي أفرادها بحسب ما يستجد من أحوال الناس لكن من وعي أصوله وقواعده التي تجمعها كما سيأتي معنا في الشرح عرف تفاصيله إذا حدثت ، **واعلم أنه لا يصرفك عن الشرك إلا رحمة الله وتوفيقه لا بحولك وقوتك .**

وليس محمد بن عبد الوهاب أول من دعا الناس إلي هذه الدعوة المباركة وهي الدعوة إلي توحيد الله تبارك وتعالي الدعوة المفصلة والتحذير من الشرك التحذير المفصل، بل هي دعوة الأنبياء والمرسلين جميعا من قبل كما قال صلي الله عليه وسلم فيما صح (الأنبياءُ إخوَةٌ لعَلَّاتٍ: دِينُهم واحِدٌ، وأُمَّهاتُهم شَتَّى) فالعقيدة والتوحيد واحد وإنما الاختلاف في الشرائع ، ومن الأكاذيب التي يفتريها الأفاكون الذين أرادوا توهين هذه الدعوة كذبهم أننا أردنا تعظيم دعوة ابن عبد الوهاب بتبشيع حال الناس بالقول بأن كثيرا منهم كان علي الشرك ، وهذا يرده أن كثيرا من علماء المسلمين خارج بلاد الحجاز قد دعوا لمثل ما دعا إليه ابن عبد الوهاب وحذروا من هذا الشرك الذي طبّق الأرض وعمَّها

فلمحمد بن إسماعيل الصعاني (1099-1182) صاحب سبل السلام شرح بلوغ المرام وهو من اليمن كتاب تطهير الاعتقاد من أدران الشرك والإلحاد ، وله أشعار يذم فيها الشرك والمشركين ، ومنها قوله

وقد هتفوا عند الشدائد باسمها : كما يهتف المضطر بالصمد الفرد

وكم عقروا في سُوحِها من عقيرة : أُهِلَّتْ لغير الله جهلاً على عمد

وكم طائف حول القبور مُقبِّل : ويلتمس الأركان منهن بالأيدي

وكذلك الإمام محمد بن علي الشوكاني (1173 -1255)كما في كتابه الدر النضيد .

قال العصيمي في شرح إبطال التنديد فيي بيان عظم دعوة ابن عبد الوهاب :

(ما يذكره علماء التوحيد والسنة من معاني الإيمان والتوحيد ليس شيئا أخذوه عن الآباء والأجداد ولا هو مذهب لابن عبد الوهاب ولا من أكبر منه كابن تيمية وأحمد ابن حنبل ، وإ،ما هو الدين الذي جاء به النبي صلي الله عليه وسلم ربه عز وجل ، وعاه من وعاه وجهله من جهله ، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ، وقد ذكر لعلامة أبو بكر بن محمد عارف خوقير المكي فيي بعض ردوده عن بعض سادات أهل حضرموت : أنه لولا البقية من علماء أهل نجد لجهل توحيد العبادة ، وصدق رحمه الله فإن كلام السلف وعلماء القرون الوسطي في توحيد العبادة قليل لأن المخالف فيه نادر حينئذ وإنما بلي به المسلمون وعظم به الخطب في القرن العاشر فما بعده إلي يمنا هذا ، فندب الله عز وجل من اصطفاهم للقيام بهذه الوظيفة ولا يختص هذا الأمر بهم ، بل من وفق ما جاء في الكتاب والسنة من توحيد ربنا عز وجل فهو من علمائه وإن كان أعجميا في أقاصي الشرق أو الغرب ولكن كتب علماء الدعوة رحمهم الله تعاليي هي نجوم الاهتداء ومصابيح الدجي في توحيد العبادة ، ولا يعرف قدر هذا إلا من مازج التآليف التي صنفها الموافق والمخالف في توحيد الله عز وجل ، فمن عاني ما كتبوا وطال ما كتبه غيرهم عرف ما لكل من ذلك ، وهذا يوجب علي العبد أن يعتني بهذه التآليف جمعا وقراءة وتفهما ليعرف دينه ، فإن التلبيس في أمر توحيد العبادة كثر في هذ الأزمان ، وابتلينا بجماعة من المتشرعة المنتسبين إلي بلاد التوحيد وهم ينقضون أساسه ويهتكون أستاره ويضعفون هبته ويقلعون أوتاده ، لما استزلهم الشيطان وخرجوا عما عليه جماعة المسلمين إلي مذاهب رضوا بها فصار لهم ف أمر توحيد اله عز وجل مقالات باطلة – قلت مثل الشريف العوني قاتله الله – وصرت تسمع ما ينقض التوحيد أو ينقصه مما يتعلق بالشرك الأكبر أو الولاء والبراء أو غيرها من أصول التوحيد من أناس رضعوا لبان علوم هذه البلاد ،ولكن ليست الأرض محلا لساكنها ، فإن الأرض المقدسة لا تقدس أحدا ، وإنما يقدس الإنسان عمله فذا صلح عمل الإنسان أصلح الله قلبه سواء كان عربيا أو أعجميا ، فينبغي أن يزداد خوف العبد علي توحيده ، وأن يجتهد في تخليصه من هذه الواردات ، وأن يحوطه بالعناية والرعاية ، فإن الطريق طويل ، والعقبة كؤود ، والعدو راصد ، والشياطين لها أحابيل والشبهات تغتال من الخلق ما تغتال ، فكم من امرئ عُد من الموحدين انقلب علي عقبيه فصار في حزب المشركين ، لأنه لم يحتفل بتوحيده ولا شد يده عليه ولا اسعظم ما وهبه الله عز وجل من التوفيق بالدلالة إليه ، فصار بعدُ نهبة للآراء والأهواء مستضعفا بها لما مال إليها وركن معجبا بقول فلان أو علان حتي خرج من التوحيد أو كاد يخرج ، فلا تظن أنك بمنأي عن هذا ، قال إبراهيم التيمي رحمه الله تعالي : من يأمن الباء بعد إبراهيم ، يعني الخليل عليه الصلاة السلام لما قال واجنبني وبني

أن نعبد الأَصنام ، فإّا كان خليل رب لعالمين وصفوة الأنبياء الأول من الرسل يخاف علي نفسه وعلي بنيه الأصنام وهو الذي حطمها ونقض جمعها ، يخشي أن يقع فيي الشرك ، فما الظن بغيره حقيق به أن يكون خوفه من الشرك عظيما ، فإن من خاف الشيء حذره وأمن منه ، من لم يخف الشيء اطمأن إليه فربما التبس به ، وكان الحسن البصري رحمه الله تعالي يقول : لأن تصحب أناسا يخوفونك كل يوم حتي تلقي الله آمنا خير من أن تصحب قوما يؤمنونك كل يوم تي تلقي الله خائفا فنسأل الله أن يؤمننا بتوحيده في الدنيا والآخرة) انتهي

- والتوحيد لغة من وحّد يوحّد توحيدا ، جعل الشيء واحدا ، وصيغة (فعّل) تأتي أيضا كما هو مقرر في علم الصرف بمعني النسبة ، فالمراد بتوحيد الله نسبته سبحانه إلي الوحدانية ، لأن وحدانية ربنا جل وعلا ليست بجعل جاعل :فإنه أول بوحدانيته قبل خلق السماوات والأرض ، إلا أن يكون المراد بالجعل فعل العبد فإن الإيمان والتوحيد قول وعمل واعتقاد فيوحده سبحانه بقوله وعمله واعتقاده وهذا يحتاج إلي جهاد منه حتي لا يتلبس بشرك فجوّز الجعلَ بهذا المعني بعضُهم .

والتوحيد في الشرع : إفراد الله بحقوقه وخصائصه ، وحقوق الله العبادات ، وخصائصه أسماؤه وصفاته وأفعاله.

فنوحده في العبادة – وهو القسم الأول من أقسام التوحيد الثلاثة وهو توحيد العبادة وهو توحيد الله بأفعال عباده - بأن لا يجعل شيء من حق الله لغيره ، وحقوق الله العبادات كما سيأتي من حديث معاذ أن النبي صلي الله عليه وسلم قال " حق الله علي العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا "فلا نسوي بين الله وبين أحد من خلقه كائنا من كان لا ملكا ولا نبيا ولا حاكما ولا محكوما في شيء من العبادات ، فلا تصرف العبادة إلا له وحده سبحانه ، وليس المراد بالتسوية كم العبادات أوكيفيتها وإنما المراد بالتسوية مجرد الجعل ولوكان المجعول لغير الله عبادة واحدة ، والعبادة هي كل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة .

ونوحده بأسمائه الحسني وصفاته العلا – وهو توحيد الأسماء والصفات - بأن نثبت ما أثبت لنفسه في كتابه او علي لسان رسوله - صلي الله عليه وسلم – من الأسماء الحسني والصفات العلا بلا تشبيه ولا تمثيل ، ولا تكييف ولا تعطيل ، فنثبت له اليدين اللتين أثبتهما لنفسه في عدة آيات كقوله (يا إبليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي) لكن لا نشبهها بخلقه ولا نشبه يدي خلقه به سبحانه وتعالي ، ولا نمثلها بشيء من خلقه ، ولا نتصور لها كيفا معينا لأننا لم نره سبحانه ولم نخبر بخبر صادق عن هذا الكيف ، وعلي الجانب الاخر لا نعطلها بزعم التنزيه إنه هو الذي أثبتها سبحانه لا نحن ، ولا نحرفها لمعني آخر غير معناها المعروف في لسان العرب فإنه أنزل كلامه عربيا لنعقله وأمرنا بتدبره فمن المحال أن تكون ألفاظا جامدة لا

معني لها ، وكل هذه الصور في التعامل مع صفاته وهي التمثيل والتشبيه والتكييف والتعطيل من الكفر به علي ما سياتي بيانه إن شاء الله تعالي .

وما كان منها مشتركا بين الله وخلقه فإن التوحيد فيه أن نفرد الله عز وجل بالكمال المطلق فيها فالكمال المطلق إنما هو لله عز وجل، ومع نفي التشبيه والتمثيل والتعطيل والتحريف.

فالله يوصف بأنه رحيم والعبد يوصف بذلك أيضا، وكذلك صفة العلم والحكمة، والله سمي نفسه العزيز وقد قال تعالي (قالوا يا أيها العزيز إن له أبا شيخا كبيرا) ، الله سمي نفسه الحليم ، وقد قال تعالي (فبشرناه بغلام حليم) ، فتوحيد الله هنا يكون بان نفرد الله بالكمال المطلق في هذه الصفات والأسماء وإنما يكون للإنسان منها ما يناسبه ، علي تفصيل في الأسماء يأتي بيانه - إن شاء الله تعالي - في باب (احترام أسماء الله تعالي وتغيير الاسم من أجل ذلك) .

ونوحده بأفعاله - وهو توحيد الربوبية - بأن نعتقد أنه وحده المدبر المصرف المالك المحيي المميت لا شريك له في شيء من أفعاله سبحانه، وأما ما ورد من إثبات الملكية لغير الله كقوله تعالى: {إِلاَّ عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ} ، وقوله تعالى: {أَوْ مَا مَلَكْتُمْ مَفَاتِحَهُ} فهو ملك محدود فالإنسان يملك ما تحت يده، ولا يملك ما تحت يد غيره، وكذا هو ملك قاصر من حيث الوصف، فالإنسان لا يملك ما عنده تمام الملك، ولهذا لا يتصرف فيه إلا على حسب ما أذن له فيه شرعا.

فمثلا: لو أراد أن يحرق ماله قلنا: لا يجوز، أما الله- سبحانه-، فهو يملك ذلك كله ملكا عاما شاملا.

وكذلك التدبير فإنه محصور بما تحت يد الإنسان، ومحصور بما أُذن له فيه شرعا.

وأما ما ورد من إثبات خالق غير الله كقوله تعالى: {فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ} ، وكقوله صلى الله عليه وسلم في المصورين وهم النحاتون والرسامون لذوات الأرواح فهي محرمة كما أخبر الرسول صلي الله عليه وسلم يقال لهم: ((أحيوا ما خلقتم)) علي ما سيأتينا مفصلا في بابه

فهذا ليس خلقا حقيقة، وليس إيجادا بعد عدم، بل هو تحويل للشيء من حال إلى حال، وأيضا ليس شاملا، بل محصورا بما يتمكن الإنسان منه، ومحصورا بدائرة ضيقة فلا ينافي قولنا: إفراد الله بالخلق.

واسم الرب يدور علي ثلاثة معان ذكرها ابن الأنباري وهي: السيد، المالك، المصلح للشيء القائم عليه ، وأبلغ ما يذكر وذكر في القران من أفعال الربوبية أربعة : الخلق والرزق والملك والتدبير .

فالتوحيد هو إفراد الله عز وجل بأفعاله، وإفراده بأفعال عباده - أي العبادات أي أفردوه وخصوه بالعبادات دون غيره سبحانه - وإفراده بأسمائه وصفاته.

وسمي دين الإسلام توحيدا لأجل ذلك ؛ فإن مبناه علي أن الله واحد في ملكه وأفعاله لاشريك له وواحد في ذاته وصفاته لانظير له ، وواحد في إلهيته وعبادته لاندَ له وإلي هذه الأنواع الثلاثة ينقسم توحيد الأنبياء والمرسلين الذي جاؤوا به من عند الله ، وهي متلازمة كل نوع منها لا ينفك عن الآخر.

وإن شئت قلت التوحيد نوعان توحيد المعرفة والإثبات وهو توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات ، وتوحيد القصد والطلب وهو توحيد الإلهية أوالعبادة ، فإن التأله هو التعبد وأله أله ألوهة و إلهة أي تعبد ، وهذه القسمة الثنائية لتوحيد الله لا تعارض القسمة الثلاثية لأن القسمة الثلاثية هي باعتبار ما وجب لله ، وأما القسمة الثنائية فباعتبار فعل العبد وما يجب عليه لله .

وإن شئت قلت توحيد علمي خبري اعتقادي ومرده إلي أفعال الله وأسمائه وصفاته ومورده العلم بما جاء في الكتاب والسنة من ذلك فهو خبري ومحل الإيمان به هو القلب فهو اعتقادي علمي ، وتوحيد عملي هو توحيد العبادة ، فمرده إلي أفعال المكلفين

قال ابن القيم في اجتماع الجيوش الإسلامية

(وملاك النجاة والسعادة والفوز بتحقيق التوحيدين اللذين عليهما مدار كتب الله تعالى وبتحقيقهما بعث الله سبحانه وتعالى رسوله صلى الله عليه وسلم ، وإليهما رغب الرسل صلوات الله وسلامه عليهم " كلهم " من أولهم إلى آخرهم.

أحدهما التوحيد العلمي الخبري الاعتقادي المتضمن إثبات صفات الكمال لله تعالى وتنزيهه فيها عن التشبيه والتمثيل وتنزيهه عن صفات النقص.

والتوحيد الثاني : عبادته وحده لا شريك له ، وتجريد محبته ، والإخلاص له ، وخوفه ورجاؤه ، والتوكل عليه ، والرضى به ربا وإلها ووليا وأن لا يجعل له عدلا في شيء من الأشياء.

وقد جمع سبحانه وتعالى هذين النوعين من التوحيد في سورتي الإخلاص وهما : سورة : (قل ياأيها الكافرون) المتضمنة للتوحيد العملي الإرادي ، وسورة : (قل هو الله أحد) المتضمنة للتوحيد الخبري العلمي.

فسورة : (قل هو الله أحد) فيها بيان ما يجب لله تعالى من صفات الكمال ، وبيان ما يجب تنزيهه عنه من النقائص والأمثال ، وسورة : (قل ياأيها الكافرون) فيها إيجاب عبادته وحده (لا شريك له) والتبري من عبادة كل ما سواه ولا يتم أحد التوحيدين إلا بالآخر ولهذا كان النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ بهاتين السورتين في سنة الفجر والمغرب والوتر اللتين هما فاتحة العمل وخاتمته ليكون مبدأ النهار توحيدا وخاتمته توحيدا.

فالتوحيد العلمي الخبري له ضدان التعطيل والتشبيه والتمثيل فمن نفى صفات الرب عز وجل وعطلها كذب تعطيله توحيده ، ومن شبهه بخلقه ومثله بهم كذب تشبيهه وتمثيله توحيده.

والتوحيد الإرادي العملي له ضدان : الإعراض عن محبته والإنابة إليه والتوكل عليه أوالإشراك به في ذلك واتخاذ أوليائه شفعاء من دونه.

وقد جمع سبحانه وتعالى بين التوحيدين في غير موضع من القرآن فمنها قوله تعالى : (ياأيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون الذي جعل لكم الأرض فراشا والسماء بناء وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون) ومنها قوله تعالى : (الله الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا إن الله لذو فضل على الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون ذلكم الله ربكم خالق كل شيء لا إله إلا هو فأنى تؤفكون كذلك يؤفك الذين كانوا بآيات الله يجحدون الله الذي جعل لكم الأرض قرارا والسماء بناء وصوركم فأحسن صوركم ورزقكم من الطيبات ذلكم الله ربكم فتبارك الله رب العالمين هو الحي لا إله إلا هو فادعوه مخلصين له الدين الحمد لله رب العالمين).

ومنها قوله تعالى : (الله الذي خلق السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش ما لكم من دونه من ولي ولا شفيع أفلا تتذكرون يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه في يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون ذلك عالم الغيب والشهادة العزيز الرحيم)**انتهي كلامه** .

وغالب سور القران تتعلق بتوحيد العبادة ؛ فبيان توحيد العبادة أكثر بكثير من النوعين الآخرين ؛ لأن توحيد العبادة هو المراد من الخلق ، فهو الذي خُلقوا لأجله فوقع بيانه في القران مستفيضا واضحا جليا ، بل لم يذكر توحيد الربوبية والأسماء والصفات فيه إلا ليكون قنطرة إلي الإقرار بالعبودية لأن من أقرَّ بالربوبية والأسماء ولصفات ألزمه أن يقرَّ بتوحيد العبادة ، وإلا فإقراره بالربوبية والأسماء والصفات ناقص بل شركه في العبادة متضمن للشرك فيهما كما سيأتي في مسألة التلازم بين أقسام التوحيد .

ومشاهد الخلق فيما يتعلق بحق الله من التوحيد من هذه الأقسام الثلاثة علي مراتب :

أولها : مشهد من يشهد ربوبية الله وقدرته ومشيئته فقط.

الثاني : مشهد من يشهد إحسانه وفضله وإنعامه فقط .

الثالث : مشهد من يشهد ربوبيته وفضله ومشيئته مع رحمته وإحسانه وفضله مع إلهيته وعبادته وحده ومحبته وحمده وهذا المشهد الثالث هو المشهد الكامل المأمور به شرعا وهو مشهد أهل العلم والإيمان من أل السنة والجماعة ، وأما المشهدان الآخران فالاقتصار عليهما نقص لقيامهما ببعض حق الله .

- ودليل هذه القسمة الثلاثية الاستقراء وهو حصر النصوص وتتبعها ، وباستقراء النصوص من الكتاب والسنة وجدناها لا تخرج عن كونها إما متعلقة بأفعال الله ، وإما بأفعال العباد ، وإما بأسماء الله وصفاته .

وهذه الأقسام الثلاثة لها دلائل كثيرة في الكتاب والسنة واقوال السلف في مصنفاتهم في العقيدة كما سنمثل من كتبهم لا كما يدعي الجهال أنها تثليث كتثليث النصاري**!!** كما ادعاه ونشره حسن بن علي السقاف قاتله الله كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبا

قال الشيخ سليمان بن عبد الله كما في (تيسير العزيز الحميد شرح كتاب التوحيد) :

النوع الأول : **توحيد الربوبية** والملك وهو توحيد الله بأفعال نفسه ، إقرار بأن الله تعالي رب كل شيء ومالكه ومدبره وخالقه ورازقه إلي غير ذلك من أفعال الله التي يختص بها سبحانه ،وأنه المحيي المميت النافع الضار المتفرد بإجابة الدعاء الاضطرار الذي له الأمر كله وبيده الخير كله القادر علي ما يشاء ليس له في ذلك شريك ويدخل في ذلك الإيمان بالقدر وهذا التوحيد لا يكفي العبد في حصول الاسلام بل لا بد أن يأتي معه بلازمه من توحيد الإلهية لأن الله تعالي حكي عن المشركين أنهم مقرون بهذا التوحيد لله وحده قال تعالي في ذلك وفي تفرده بالربوبية سبحانه (الحمد لله رب العالمين) ،وقال (ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين) ، وقال (قل من رب السماوات والأرض قل الله) وقوله (قل من يرزقكم من السماء والأرض أمن يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الأمر فسيقولون الله فقل أفلا تتقون)وقوله (ولئن سالتهم من خلقهم ليقولن الله فأني يؤفكون) وقوله (ولئن سالتهم من نزل من السماء ماء فاحيا به الأرض من بعد موتها ليقولن الله) وقوله (الله خالق كل شيء وهو علي كل شيء وكيل) وقوله (وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون) قال مجاهد تلميذ ابن عباس (إيمانهم قولهم الله خالقنا ورازقنا مع شرك عبادتهم غيره) **فهم كانوا يعلمون أن جميع ذلك لله وحده ولم يكونوا بذلك مسلمين** فتبين أن الكفار كانوا يعرفون الله ويعرفون ربوبيته وملكه وقهره وكانوا مع ذلك يعبدونه ويخلصون له أنواعا من العبادات كالحج والصدقة والذبح والنذر والدعاء وقت الاضطرار ونحو ذلك ويدعون أنهم علي ملة ابراهيم عليه الصلاة والسلام فأنزل الله (ما كان إبراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين).

إلي غير ذلك من الآيات الكثيرة في بيان هذا النوع من التوحيد

وبعضهم كان يؤمن بالبعث ويؤمن بالحساب والقدر كما قال زهير

يؤخر فيوضع في كتاب فيدخر   ليوم الحساب او يعجل فينقم

وقال عنترة

يا عبل اين من المنية مهرب　　　　اذا كان ربي في السماء قضاها

ومثل هذا يوجد في أشعارهم فيجب علي كل من عقل عن الله تعالي أن ينظر ويبحث عن السبب الذي اوجب سفك دمائهم وسبي نسائهم وإباحة أموالهم مع هذا الإقرار والمعرفة وما ذاك إلا لإشراكهم في توحيد العبادة الذي هو معني لا إله إلا الله .

النوع الثاني : توحيد الأسماء والصفات :

وهو الإقرار بأن الله سبحانه له أسماء حسني وصفات عليا

نثبت لله سبحانه ما أثبته لنفسه في كتابه أو علي لسان رسوله صلي الله عليه وسلم من الأسماء والصفات من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل

وننفي عنه سبحانه ما نفاه عن نفسه ونفاه عنه رسوله صلي الله عليه وسلم مع اعتقاد كمال ضده ، فنفي عن نفسه السنة والنوم لكمال حياته وقيوميته ، ونفي عن نفسه الظلم لكمال عدله سبحانه ، ونفي العجز لكمال قدرته -عز وجل- إلي غير ذلك من الصفات المنفية عنه سبحانه

وسيأتي تفصيل ذلك في بابه إن شاء الله تعالي وانما المراد هنا إيراد أدله أقسام التوحيد الثلاثة ردا علي من ينفونه ويقولون بجهلهم هذا تقسيم مبتدع لا دليل عليه وإنما أحدثه ابن عبد الوهاب وابن تيمية رحمهما الله .

ومن أدلته قوله تعالي (الرحمن الرحيم مالك يوم الدين) وقوله (قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن أيما تدعوا فله الأسماء الحسني) وقوله (ولله الأسماء الحسني فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في أسمائه سيجزون ما كانوا يعملون)وقوله (هل تعلم له سميا) وقوله (الله لا إله إلا هو له الأسماء الحسني)

وهذا أيضا لا يكفي في حصول الاسلام بل لا بد مع ذلك من الإتيان بلازمه من توحيد الربوبية والألوهية ، والكفار مقرون بجنس هذا النوع وإن كان بعضهم قد ينكر بعض ذلك إما جهلا وإما عنادا كما قالوا : لا نعرف الرحمن إلا رحمن اليمامة فأنزل الله فيهم (وهم يكفرون بالرحمن) أي بالاسم لا بالمسمي والمدلول إذ كانوا يعبدون الله تعالي ولكن أشركوا معه آلهتهم .

قال ابن كثير : والظاهر أن إنكارهم إنما هو جحود وعناد وتعنت في كفرهم فإنه قد وجد في بعض أشعار الجاهلية تسمية الله بالرحمن قال شاعرهم

وما يشأ الرحمن يعقد ويطلق ...

وقال آخر :

ألا قضب الرحمن ربي يمينها

وهما شاعران جاهليان

ولم يعرف عنهم انكار شيء من ذلك التوحيد إلا في اسم الرحمن خاصة ولو كانوا ينكرونه لردوه علي النبي صلي الله عليه وسلم كما ردوا عليه توحيد الألوهية فقالوا (أجعل الآلهة إلها واحدا إن هذا لشيء عجاب) ، لا سيما السور المكية مملوءة بهذا التوحيد .

القسم الثالث:توحيد العبادة أوالألوهية وهو مصدر أله يأله ألوهة وإلهة، و الإلهية نسبة للتأله

أي التعبد وهو توحيد الله بأفعال عباده من جميع أنواع العبادات وهو مبني علي إخلاص التأله لله وحده من المحبة والرجاء والتوكل والرغبة والرهبة والذبح والنذر وغيرها من العبادات قولا أو عملا او اعتقادا لا يجعل فيها شيء لغير الله الواحد لا لملك مقرب ولا لنبي مرسل

فخرج بقولنا توحيد العبادة ما كان علي غير وجه التقرب كالعاديات وهي ما يفعله العبد علي سبيل العادة فهذه لا دخل لها بكلامنا ، كالأكل والشرب ونحوها لكن إن حتسبها للتقوي علي عبادة الله وحده أجر عليها وقد قال صلي الله عليه وسلم (أحتسب نومتي كما أحتسب قومتي).

وأدلة هذا التوحيد كثيرة

قال تعالي (إياك نعبد وإياك نستعين) أي نخصُّك بالعبادة لتقديم الضمير علي الفعل ، قال ابن عباس في تفسيرها كما ذكره الطبري في التفسير (إياك نوحد ونخاف ونرجو يا ربنا لا غيرك) ، وهذا يفيد الحصر والقصر وقوله (فاعبد الله مخلصا له الدين) و(ألا لله الدين الخالص) و(قل الله أعبد مخلصا له ديني) وكقوله تعالي (قل إنما أمرت أن أعبد الله ولا أشرك به إليه أدعو وإليه مئاب) وقوله تعالي (وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء) وغيرها من الايات الكثيرة .

بل القران كله في بيان هذا التوحيد ، بل كل آية فهي داعية إلي هذا التوحيد شاهدة به ، متضمنة له ، لأن القران :

- إما خبر عن الله تعالى وأسمائه وصفاته وأفعاله وهو توحيد الربوبية وتوحيد الصفات فذاك مستلزم لهذا متضمن له وإما دعاء الى عبادته وحده لا شريك له وخلع ما يعبد من دونه أوأمر بانواع من العبادات ونهي عن المخالفات فهذا هو توحيد الالهية والعبادة وهو مستلزم للنوعين الأولين متضمن لهما ايضا .

- وإما خبر عن إكرامه لأهل توحيده وطاعته وما فعل بهم في الدنيا وما يكرمهم به في الآخرة فهو جزاء توحيده .

- وإما خبر عن أهل الشرك وما فعل بهم في الدنيا من النكال وما يحل بهم في العقبى من الوبال فهو جزاء من خرج عن حكم التوحيد وهذا التوحيد هو حقيقة دين الاسلام الذي لا يقبل الله من أحد سواه كما قال النبي ﷺ بني الاسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وإقام الصلاة وايتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت رواه البخاري ومسلم ، فأخبر أن دين الإسلام مبني على هذه الأركان الخمسة وهي الأعمال فدل على أن الاسلام هو عبادة الله وحده لا شريك له بفعل المأمور وترك المحظور والاخلاص في ذلك لله وقد تضمن ذلك جميع أنواع العبادة فيجب إخلاصها لله تعالى فمن أشرك بين الله تعالى وبين غيره في شيء فليس بمسلم) **انتهي كلامه بتصرف .**

وكل من ابتدع قسما رابعا فهو داخل في هذه الثلاثة لكن أهل البدعة يفردونه لهوي في أنفسهم ، غير أنه يترتب عليه مفاسد فإذا قلت توحيد الحاكمية ظن الظان أن من جاء به فهو موحد وإن أهمل الأقسام السابقة ، مثلهم مثل من يجعل المراد بالتوحيد توحيد الربوبية وأهملوا توحيد العبادة كما عليه الأشاعرة وغيرهم كما من سيأتي من كلام أئمتهم ، تشابهت قلوبهم ، والحاكمية سيأتي أن لها تعلقا بجميع أنواع التوحيد الثلاثة فمن جهة تعلقها بصفة من صفاته سبحانه وهو الحكم وفعله من توحيد الربوبية والأسماء والصفات ، ومن جهة تعلقها بالمخلوق من جهة التحاكم والتحكيم فداخل في توحيد العبادة .

واعلم أن جميع الرسل قد بعثوا بأقسام التوحيد الثلاثة ،ودعوا إليها جميعا ، فمن الغلط أن يقال أن الرسل لم يدعوا إلا إلي توحيد العبادة فقط وهمشوا القسميين الآخرين ، وإنما يقال أن الأقوام كان عندهم شيء من توحيد الربوبية وشيء من توحيد الأسماء والصفات ولم يكن عندهم شيء من توحيد العبادة ؛ فدعت الرسل إلي الأقسام الثلاثة إلا أنهم لما وافقت دعوتهم ما عندهم في النوعين الأولين وخالفوا في الثالث وقعت الخصومة في توحيد العبادة ، فالنزاع والخصومة بين الرسل وأقوامهم في توحيد العبادة لا في القسمين الآخرين .

وكما تري الأدلة من كتاب الله متوافرة علي هذه الاقسام الثلاثة

ومن الآيات التي جمعت أقسام التوحيد الثلاثة قول الله تبارك وتعالي في سورة مريم (رب السماوات والأرض وما بينهما فاعبده واصطبر لعبادته هل تعلم له سميا)

قال الشيخ عبد الرحمن بن سعدي في تفسيره :

(اشتملت آية {رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا} على أصول عظيمة على توحيد الربوبية وأنه تعالى رب كل شيء وخالقه ورازقه ومدبره،

وعلى توحيد الألوهية والعبادة وأنه تعالى الإله المعبود وعلى أن ربوبيته موجبة لعبادته وتوحيده ولهذا أتى فيه بالفاء في قوله: {فَاعْبُدْهُ} الدالة على السبب أي فكما أنه رب كل شيء فليكن هو المعبود حقًا فاعبده ومنه: الاصطبار لعبادته تعالى وهو جهاد النفس وتمرينها وحملها على عبادة الله تعالى فيدخل في هذا أعلى أنواع الصبر وهو الصبر على الواجبات والمستحبات والصبر عن المحرمات والمكروهات، بل يدخل في ذلك الصبر على البليات فإن الصبر عليها وعدم تسخطها والرضى عن الله بها من أعظم العبادات الداخلة في قوله: {وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ}، واشتملت على أن الله تعالى كامل الأسماء والصفات عظيم النعوت جليل القدر وليس له في ذلك شبيه ولا نظير ولا سمي بل قد تفرد بالكمال المطلق من جميع الوجوه والاعتبارات) انتهي كلامه.

وقال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله في تفسيره (وقد دل استقراء القران العظيم علي أن توحيد الله ينقسم لثلاثة أقسام) ثم أخذ يُعدِّدها بأدلتها السابقة .

وقال الشوكاني في كتابه (إرشاد الثقات علي اتفاق الشرائع علي التوحيد والمعاد والنبوات)

(واعلم أن إيراد الآيات القرانية علي إيراد كل مقصد من هذه المقاصد ، وإثبات اتفاق الشرائع عليها ، لا يحتاج إليه من يقرأ القرآن العظيم ، فإنه إذا أخذ المصحف الكريم وقف علي ذلك في اي موضع شاء ، ومن أي مكان أحب ، وفي أي محل منه أراد ، ووجده مشحونا به من فاتحته إلي خاتمته) .

وقال الشيخ بكر ابو زيد رحمه الله :

(هذا التقسيم الاستقرائي لدي متقدمي علماء السلف أشار اليه ابن منده وابن جرير الطبري وغيرهما شيخا الاسلام ابن تيمية وابن القيم وقرره الزبيدي في تاج العروس وشيخنا الشنقيطي في اضواء البيان وهو استقراء تام لنصوص الشرع وهومطرد لدي اهل الفن كما في استقراء النحاة كلام العرب الي اسم وفعل وحرف والعرب لم تفه بهذا ولم يعتب علي النحاة ذلك عاتب وهكذا من انواع الاستقراء) .

واليك من كلام السلف المتقدمين في تقرير هذا التقسيم

قال الإمام أبو عبد الله عبيد الله بن محمد بن بطة العكبري المتوفي سنة 387 في كتابه الابانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة :

(وذلك ان اصل الايمان بالله الذي يجب علي الخلق اعتقاده في اثبات الايمان به ثلاثة اشياء :

احدها : ان يعتقد العبد ربانيته ليكون بذلك مباينا لمذهب اهل التعطيل الذين لا يثبتون صانعا .

والثاني : ان يعتقد وحدانيته ليكون مباينا بذلك لمذاهب اهل الشرك الذين اقروا بالصانع واشركوا معه في العبادة غيره .

والثالث : أن يعتقد موصوفا بالصفات التي لا يجوز إلا ان يكون موصوفا بها من العلم والقدرة والحكمة وسائر ما وصف به نفسه في كتابه اذ قد علمنا أن كثيرا ممن يقر به ويوحده بالقول المطلق قد يلحد في صفاته فيكون الحاده في صفاته قادحا في توحيده ولأنا نجد الله تعالي قد خاطب عباده بدعائهم الي اعتقاد كل واحدة من هذه الثلاث والايمان بها فأما دعاؤه اياهم الي الاقرار بربانيته ووحدانيته فلسنا نذكر هذا هاهنا لطوله وسعة الكلام فيه ولان الجهمي يدعي لنفسه الاقرار بهما وان كان جحده للصفات قد ابطل دعواه لهما ......)**انتهي كلامه .**

وقال الطحاوي في عقيدته

(نقول في توحيد الله معتقدين بتوفيق الله : إن الله واحد لا شريك له، ولا شيء مثله، ولا شيء يعجزه، ولا إله غيره) فقوله أن الله واحد فيه إثبات وحدانية الله في أنواع التوحيد الثلاثة ، وقوله (ولا شيء مثله) فيه إثبات توحيده في اسمائه وصفاته ، وقوله (ولا شيء يعجزه) فيه إثبات توحيده بافعال ربوبيته سبحانه ، وقوله (ولا إله غيره) فيه إثبات توحيده في العبادة) .

وقال ابن أبي زيد القيرواني في عقيدته

(الإيمان بالقلب، والنطق باللسان: أن الله إله واحد لا إله غيره، ولا شبيه له، ولا نظير له، ولا ولد له، ولا والد له، ولا صاحبة له، ولا شريك له).

وقال ابن تيمية كما في بيان تلبيس الجهمية (478/1)

(والمقصود هنا أن التوحيد الذي أنزل الله به كتبه وارسل به رسله وهو المذكور في الكتاب والسنة وهو المعلوم بالاضطرار من دين الاسلام ليس هو هذه الأمور الثلاثة التي ذكرها هؤلاء المتكلمون وإن كان فيها ما هو داخل في التوحيد الذي جاء به الرسول فهم مع زعمهم أنهم الموحدون توحيدهم التوحيد الذي ذكر الله ورسوله بل التوحيد الذي يزعمون الاختصاص به باطل في الشرع والعقل واللغة **وذلك أن توحيد الرسل والمؤمنين هو عبادة الله وحده،** فمن عبد الله وحده ولم يشرك به شيئًا فقد وحده، ومن عبد من دونه شيئًا من الأشياء فهو مشرك به ليس بموحد مخلص له الدين وإن كان مع ذلك قائلا بهذه المقالات التي زعموا انها التوحيد حتى لو أقر بأن الله وحده خالق كل شيء، وهو التوحيد في الأفعال، وهذه حال مشركي العرب الذين بعث الرسول إليهم ابتداء، وأنزل القرآن ببيان شركهم، ودعاهم إلى توحيد الله، وإخلاص الدين له، فإنهم كانوا يقرون بأن الله وحده هو الذي خلق السماوات والأرض كما أخبر الله بذلك عنهم في القرآن) .

- **بيان حقيقة شرك الجاهلية ومحل النزاع بين الرسل وأقوامهم :**

حقيقة شرك الجاهلية هو عبادة غير الله عز وجل معه، و التوحيد الذي جاءت به الرسل هو إفراد الله بالعبادة ، لا كما يقول الأشعرية القبورية المشركة ممن لم يعلم ما بعث الله به رسله وأنزل به كتبه أنه إفراد الله بالخلق والرزق وأفعال ربوبيته سبحانه فعندهم هذا هو الإسلام فمن اعتقد ذلك صار مسلما وإن أشرك مع الله غيره في العبادات فحصروا التوحيد في توحيد الربوبية وأخرجوا منه توحيد الألوهية والعبادة وقد سبق أن كفار الجاهلية الذين بعث فيهم النبي صلي الله عليه وسلم كانوا موحدين لله عز وجل في الربوبية في الجملة أصلا ، فإننا في هذا العصر في محنة وهي محنة كل عصر فقد غلط أكثر الناس في مسمي التوحيد وظهرت الفرق التي أخبر بها النبي صلي الله عليه وسلم حتي صار لكل فرقة توحيد ، وكل فرقة تزعم أن توحيدها هو التوحيد الذي جاء به النبي صلي الله عليه وسلم .

قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن في رسالته في الرد علي الكشميري

(وقد غلط أكثر الفرق الثلاث والسبعين في مسمي التوحيد ، وكل فرقة لها توحيد تعتقد أنه هو الصواب حتي الأشاعرة القائلين بأن معني الإله : الغني عما سواه المفتقر إليه كل من عداه ويقولون هم أهل السنة وهيهات هيهات ولم يصبر منها علي الحق إلا فرقة واحدة وهم الذين عرفوا التوحيد علي الحقيقة من الآيات المحكمات وصحيح السنة) . **انتهي** .

وقال ابن تيمية في كتابه" اقتضاء الصراط المستقيم مخالفةَ أصحاب الجحيم" :

(وقد غلط في مسمى التوحيد طوائف من أهل النظر والكلام، ومن أهل الإرادة والعبادة، حتى قلبوا حقيقته) .

ولتحقيق المقام اعلم – رحمك الله –

أنه لما فشا الجهل بالتوحيد تجد الكثيرين إذا وجدوا من يتكلم وفي لسانه ذكر لله جل وعلا أو يذكر الله بلسانه ويصلي ويتصدق ويقرأ القرآن يزعمون أنه مسلم ولو أشرك مع الله غيره في عبادته .

وعلي هؤلاء أن يعلموا أن ليس هذا هو المقصود في المقام الأول وإنما هذه الشرائع جاءت بعد التوحيد بعد أن ظل رسول الله - صلي الله عليه وسلم – عشرة أعوام لا يدعوا إلا إليه فإذا لم يقم التوحيد في قلب صاحبه لم تقبل هذه الشرائع .. كما قال الله تعالي (ولقد أوحي إليك وإلي الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين)

وأول شريعة فرضت الصلاة في السنة العاشرة من البعثة ثم الصيام في الرابعة عشرة ثم الحج في التاسعة عشرة أو بعد ذلك ، ففرضت العبادات مؤخرا مما يبين أن العبادات لها أصل تنبني

عليه لا تقوم ولا تصح من صاحبها إلا به ألا وهو التوحيد قولا وعملا ونفي الشرك والبراءة منه ومن أهله .

ومشركو العرب الذين بعث فيهم النبي محمد صلي الله عليه وسلم كانوا أهل تعبد وكانوا يصلون ويتصدقون ويصومون ويعتكفون ويَصِلون الأرحام ويحجون علي ما ورثوه من بقايا من ملة إبراهيم عليه وعلي نبينا الصلاة والسلام .

والدليل حديث أبي ذر رضي الله عنه كما عند مسلم (كنت أصلي قبل بعثة النبي بثلاث سنوات)

وحديث عمر (يا رسول الله إني نذرت أن أعتكف ليلة في الجاهلية فقال له الرسول صلي الله عليه وسلم أوف بنذرك) .

وقول خديجة رضي الله عنها بعد ما بعث النبي وفاجأه الوحي قالت (كلا والله لا يخزيك الله أبدا إنك لتصل الرحم وتَقرِي الضيف وتعين الملهوف).

إلي غير ذلك مما يبين أن مشركي العرب كانوا أهل تعبد .

ومع هذا لم يكونوا مسلمين بل بعث الله إليهم محمدا صلي الله عليه وسلم يأمرهم أن يوحدوا الله !

وقاتلهم واستحل دماءهم وأرضهم وغزاهم

فكيف مع كل هذا العبادات عندهم ؟!

فإن قلت لأنهم اعتقدوا أن أصنامهم تخلق وترزق مع الله

فهذا أيضا غير صحيح بل كانوا يعتقدون أن الله هو الرازق الخالق المحيي المميت لا آلهتهم وهذا كثير في القرآن ..قال الله (ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله فأني يؤفكون) ، وقال تعالي (وما يؤمن اكثرهم بالله الا وهم مشركون) قال مجاهد تلميذ ابن عباس (ايمانهم قولهم الله خالقنا ورازقنا مع شرك عبادتهم غيره) فهم كانوا يعلمون ان جميع ذلك لله وحده ولم يكونوا بذلك مسلمين فتبين ان الكفار كانوا يعرفون الله ويعرفون ربوبيته وملكه وقهره وكانوا مع ذلك يعبدونه ويخلصون له انواعا من العبادات كالحج والصدقة والذبح والنذر والدعاء وقت الاضطرار ونحو ذلك ويدعون انهم علي ملة ابراهيم عليه الصلاة والسلام فانزل الله مع ذلك قوله (ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين).

فرغم أنهم كانوا أهل تعبد وكانوا مؤمنين بأن الله هو الخالق الرازق .. لم يدخلهم ذلك في الإسلام .

قال ابن تيمية:

((لم يقل احد من الكفار ان احدا بخلق او يرزق او يدبر امرا بل كلهم يقرون ان الفاعل لذلك هو الله وهم يعرفون الله بذلك وهذا الاقرار لم يدخلهم في الاسلام ولا اوجب الكف عن قتالهم وتكفيرهم)) .

قال محمد بن عبدالوهاب في رسالته لبعض علماء المدينة:

((ويكون عندك معلوماً أن لله تعالى أفعالاً وللعبيد أفعالاً، فأفعال الله الخلق والرزق والنفع والضر والتدبير؛ وهذا أمر ما ينازع فيه لا كافر ولا مسلم.

وأفعال العبد: العبادة؛ كونه ما يدعو إلا الله، ولا ينذر إلا لله، ولا يذبح إلا له، ولا يخاف خوف السر إلا منه، ولا يتوكل إلا عليه.

فالمسلم: من وحد الله بأفعاله سبحانه وأفعاله بنفسه.

والمشرك: الذي يوحد الله بأفعاله سبحانه ويشرك بأفعاله بنفسه))" الرسائل الشخصية .

بل كانوا أيضا أهل خلق ولهذا قال رسولنا صلي الله عليه وسلم (إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق) فجاء ليتمم ما وجد فيهم أصلا من مكارم الخلق ولم يقل بعث ليؤسس ، ومع ذلك لم يجعلهم ذلك مسلمين أيضا .

بل كانوا يثبتون لله الأسماء والصفات كما سبق بيانه من أشعارهم وتفسير ابن كثير في آية الفرقان التي تقدم تفسيرها .

ولم يجعلهم ذلك كله مسلمين !

بل كانوا يخلصون الله الدعاء لكن في الشدة دون الرخاء ، ولم يجعلهم ذلك مسلمين أيضا حتي يفردوا الله ويخلصوا له جميع العبادات لا الدعاء فقط ، وفي جميع لحظات الحياة في الشدة والرخاء لا في الشدة فقط ، قال تعالي (قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين) وقال تعالي وقاتلوهم حتي لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله) ، وقال (فإذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم إلي البر إذا هم يشركون) ونحوها من الايات

إنما السبب الذي كانوا به كفارا ومشركين مع كل ما سبق أنهم أشركوا مع الله تعالي غيره في العبادة ..فقد جعلوا آلهتهم وسائط بينهم وبين الله في طلب الرزق وشفعاء يشفعون لهم عند الله فكانوا يتوجهون بالعبادات لغير الله فكانوا بذلك مشركين كما يفعله مشركو زماننا يدعون النبي من دون الله ويتوجهون إلي الأموات مع الله بمختلف العبادات ، فلم يكن مشركو العرب بالغباء الذي يجعلهم يصنعون صنما يعبدونه ثم يأكلونه إذا جاعوا ! بل إنما عبدوها ظنا منهم أن أرواح الصالحين تسيح بعد موتهم وتتركب في أصنامهم وتحل فيها فكانوا يسألونها فتجيبهم فظنوا أن الأموات هم الذين يجيبونهم لكن في الجقيقة الشياطين هي التي كانت تجيبهم ولهذا قال تعالي في سورة سبأ (وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَٰؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ۖ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ ۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ) سبحان الله عما يشركون !

وفي ذلك يقوله الله جل وعلا في سورة يونس مبينا حقيقة شرك الجاهلية (وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ ۚ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ ۚ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ) ، وقال تعالي في سورة الزمر (وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ) .

غير أن أول شرك وقع في العالم شرك قوم نوح وسيأتي في شرح باب (الغلو في الصالحين يصيرها أوثانا تعبد) أنهم كانوا يتوجهون بالعبادات للأموات من الصالحين ، وقد كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم علي التوحيد فلما حصل الشرك في قوم نوح الذي هو أول رسول بعد آدم أرسل الله إليهم نوحا أن لاتعبدوا إلا الله ، يدل علي ذلك ما رواه مسلم في " صحيحه " من حديث عياض بن حمار المجاشعي ، عن النبي - صلى الله عليه وسلم - فيما يروي عن ربه تبارك وتعالى : " إني خلقت عبادي حنفاء كلهم ، وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم ، وحرمت عليهم ما [ص: 954] أحللت لهم ، وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطانا "

وقال ابن تيمية رحمه الله مجموع الفتاوى167 - 165)

وهذا كان أول أسباب الشرك في قوم نوح وعبادة الأوثان في الناس ، قال ابن عباس: (كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على الإسلام، ثم ظهر الشرك بسبب تعظيم قبور صالحيهم) انتهى

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان بين نوح وآدم عشرة قرون كلهم على شريعة من الحق فاختلفوا، فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين

ودليل ذلك قول الله عز وجل

(كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ ۚ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ ۖ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ ۗ وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ)

قال الطبري (إن الله عز وجل أخبر عباده أن الناس كانوا أمة واحدة على دين واحد وملة واحدة)

يعني علي ملة التوحيد فإن الناس إذا انحرفت عقائدهم فلا بد أن يختلفوا ويتقاتلوا ويتناحروا ، ولن يجتمعوا إلا إذا صحت واتحدت عقائدهم .

قال ابن كثير

(كانوا على ملة آدم ، عليه السلام ، حتى عبدوا الأصنام ، فبعث الله إليهم نوحا ، عليه السلام ، فكان أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض ، ولهذا قال : (وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه وما اختلف فيه إلا الذين أوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم)أي : من بعد ما قامت عليهم الحجج وما حملهم على ذلك إلا البغي من بعضهم على بعض ، (فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم) انتهي .

فإذا علمت هذا علمت أن العبرة بتوحيد الله في العبادات وليس في أنهم يحجون ويصومون وهم مشركون فتكون أعمالهم هباء منثورا مع شركهم بالله في العبادة

وعلمت أن ما يفعله مشركو زماننا من التوجه للأموات وللنبي محمد نفسه في قبره ويتوجهون إليهم ويدعونهم من دون الله أن يشفعوا لهم عند الله ويذبحون لهم ويستغيثون ويستعينون بهم إلي غير ذلك من العبادات

علمت أن هذا من الشرك الذي حذر منه الله ورسوله ويخلد في النار من ارتكبه ..

وعلمت أن إخلاص القلب والعمل وتوجهه لله وحده في العبادات هو زبدة الرسالات الإلهية وهو مدار بعثة الأنبياء والمرسلين وبدونه لا يقبل الله من العبد صرفا ولا عدلا

فعيسي ومريم اتخذهم كثير من الناس إلهين من دون الله وكذلك النبي محمد صلي الله عليه وسلم وكذلك البدوي والجيلاني والحسين وغيرهم فإن قلت كيف اتخذوهم كذلك ؟

فنقول اتخذوا آلهة من دون الله بأن طلبوا منهم ودعوهم أن يشفعوا لهم عند الله وطلبوا منهم المدد من دون الله وتوجهوا إليهم بمختلف أنواع العبادات .

فهذا هو شركهم الذي أحبط عملهم وخلدهم في النار.

وبهذا نعرف أن للإسلام حقيقة مالم يحققها العبد فليس بمسلم بأي حال وإن كان من أعبد الناس ، وهي توحيد الله بالعبادة فلا تصرف لغيره أبدا فهو الأصل الذي قامت لأجله السماوات والأرض وبها يكون المرء مسلما وإن كان من أهل الفترة الذين لم يسمعوا برسالة رسول ، وبمناقضتها يكون مشركا كافرا ولو كان جاهلا أميا ولو لم تبلغه رسالة فهذا حكمه الدنيوي أما في الآخرة فيمتحن - إن كان معذورا بضابط العذر المقرر شرعا وقد بسطت الكلام فيي ذلك في كتابي (القول الفصل في مسألة العذر بالجهل) - يوم القيامة لأن الله لا يعذب أحدا إلا بعد بلوغ الحجة أما حكمه في الدنيا فعلي ظاهر الأمر ..

فتبين بذلك أن مجرد توحيد الربوبية الذي أقر به المسلم والكافر لا يكفي وحده ، بل لا يكفي مع إثبات الاسماء والصفات حتي يقترنا معا بتوحيد الإلهية الذي هو لازم توحيد الربوبية والاسماء والصفات ولهذا حاج الله المشركين في ايات كثيرة بإثباتهم ربوبيته مع شركهم به غيره في التوجه والعبادة ! ، وهذا مناقض للعقل والفطر السليمة فإن الخالق الرازق المدبر وحده هو المستحق للعبادة وحده

ولم يصف أحد من أهل العلم من جاء بتوحيد الربوبية بأنَّه موحد هكذا على الإطلاق، وإنَّما يُوصف بالموحد عندهم من جاء بالتوحيد بأقسامه الثلاثة.

لكن اعلم أن جميع الرسل قد بعثوا بأقسام التوحيد الثلاثة ،ودعوا إليها جميعا ، فمن الغلط أن يقال أن الرسل لم يدعوا إلا إلي توحيد العبادة فقط وهمشوا القسميين الآخرين ، وإنما يقال أن الأقوام كان عندهم شيء من توحيد الربوبية وشيء من توحيد الأسماء والصفات ولم يكن عندهم شيء من توحيد العبادة ؛ فدعت الرسل إلي الأقسام الثلاثة إلا أنهم لما وافقت دعوتهم ما عندهم في النوعيين الأولين وخالفوا في الثالث وقعت الخصومة في توحيد العبادة ، فالنزاع والخصومة بين الرسل وأقوامهم في توحيد العبادة لا في القسمين الآخرين .

وفي ما سبق قال الله تعالى: {فَلاَ تَجْعَلُوا للهِ أَندَاداً وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ} .

قال ابن عباس: "أي لا تشركوا بالله غيره من الأنداد التي لا تنفع ولا تضر وأنتم تعلمون أنَّه لا رب لكم يرزقكم غيره، وقد علمتم أنَّ الذي يدعوكم إليه الرسول صلى الله عليه وسلم من توحيده هو الحق الذي لا شك فيه ".

وقال قتادة: "أي تعلمون أنَّ الله خلقكم وخلق السموات والأرض ثم تجعلون له أنداداً".

وقال ابن جرير " ... ولكن الله جل ثناؤه قد أخبر في كتابه عنها أنَّها كانت تقر بالوحدانية غير أنَّها كانت تشرك في عبادته ما كانت تشرك فيها فقال جلَّ ثناؤه: {وَلَئِنْ سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللهُ} ، وقال: {قُلْ مَن يَّرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَآءِ وَالأَرْضِ أَمَّن يَّمْلِكُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَمَن يُّخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللهُ فَقُلْ أَفَلاَ تَتَّقُونَ}

فروى عن ابن عباس أنَّه قال: "من إيمانهم إذا قيل لهم من خلق السماء، ومن خلق الأرض ومن خلق الجبال؟ قالوا: الله ، وهم مشركون".

وعن مجاهد قال: "إيمانهم قولهم: الله خالقنا ويرزقنا ويميتنا فهذا إيمان مع شرك عبادتهم غيره"

وعن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم قال: "ليس أحد يعبد مع الله غيره إلا وهو مؤمن بالله ويعرف أنَّ الله ربه، وأنَّ الله خالقه ورازقه وهو يشرك به، ألا ترى كيف قال إبراهيم: {أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ الأَقْدَمُونَ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي إِلاَّ رَبَّ الْعَالَمِينَ} ، قد عرف أنَّهم يعبدون رب العالمين مع ما يعبدون، قال: فليس أحد يشرك إلا وهو مؤمن به، ألا ترى كيف كانت العرب تلبي تقول لبيك اللهم لبيك لا شريك لك، إلا شريكا هو لك، تملكه وما ملك، المشركون كانوا يقولون هذا"

وقال الصنعاني -رحمه الله- في تطهير الاعتقاد : "ولفظ الشريك يشعر بالإقرار بالله تعالى"

وقال في مقدمة الكتاب : "الحمد لله الذي لا يقبل توحيد ربوبيته من العباد حتى يفردوه بتوحيد العبادة كل الإفراد، فلا يتخذون له ندّاً ولا يدعون معه أحداً ولا يتوكلون إلا عليه

وقال ابن تيمية في المجموع (1-23) :

("فأمَّا توحيد الربوبية الذي أقرَّ به الخلق وقرَّره أهل الكلام فلا يكفي وحده، بل هو من الحجة عليهم") .

وقال ابن القيم في إغاثة اللهفان(1-47) :

"وأمَّا توحيد الربوبية الذي أقرَّ به المسلم والكافر وقرره أهل الكلام في كتبهم فلا يكفي وحده، بل هو الحجة عليهم كما بين ذلك سبحانه في كتابه في عدة مواضع"

واعلم بارك الله فيك أنه ليس معني إقرارهم بالربوبية أنهم أقروا بجميع مفردات ربوبية الله وافعاله ، بل من المشركين من اشرك بالله في الربوبية فمنهم من كان يعتقد النفع والضر في معبوداته ومنهم النصاري المثلثون، وكشرك طوائف من اليهود ، وكشرك المجوس القائلين بنسبة حوادث الخير إلي النور وحوادث الشر إلي الظلمة ، وشرك عباد الشمس والكواكب ، وكشرك الفلاسفة القائلين بقدم العالم ، وشرك الجهمية ، وأهل وحدة الوجود ، كابن عربي والتلمساني وابن الفارض وغيرهم من الملحدين من أهل وحدة الوجود والدهريين والطبيعيين ، ويلتحق به من وجه شرك غلاة عباد القبور الذين يعتقدون أن أرواح الأولياء تتصرف بعد الموت فيقضون الحاجات ويفرجون الكربات وينصرون من دعاهم ، ويحفظون

من التجأ إليهم ، وكقول بعضهم أن الأقطاب الأربعة يدبرون أمر الكون مع الله ، وينفعون ويضرون ، وكقول بعضهم أن الولي يمكن أن يخلق كما قاله الجفري .

بل شركهم في الألوهية والعبادة مستلزم للشرك في الربوبية ؛ لأن أنواع التوحيد الثلاثة متلازمة لا يصح الإيمان إلا باجتماعها ، وسبق أن بينا أن توحيد الربوبية مستلزم لتوحيد الألوهية فإن الخالق وحده هو المستحق للعبادة وحده ، وتوحيد الألوهية متضمن لتوحيد الربوبية والأسماء والصفات لأنه لا يعبد الله وحده إلا من أفرده بالخلق والرزق والأسماء الحسني والصفات العلي وحده ، قال شارح الطحاوية" وتوحيد الإلهية متضمن لتوحيد الربوبية دون العكس. فمن لا يقدر على أن يخلق يكون عاجزا، والعاجز لا يصلح أن يكون إلها".انتهي ، وعلي الضد الشرك في العبادة متضمن للشرك في الربوبية والأسماء والصفات ، والشرك في الربوبية مستلزم للشرك في العبادة ، فافهم هذه العلاقة بين أقسام التوحيد الثلاثة فإنها متلازمة تَفْسَدُ جميعها بفسادِ أحدها .

قال الشيخ حافظ حكمي في المعارج وأعلام السنة :

(فمن أشرك في نوع منها فهو مشرك في البقية، مثال ذلك دعاء غير الله وسؤاله ما لا يقدر عليه إلا الله، فدعاؤه إياه عبادة بل مخ العبادة، صرفها لغير الله من دون الله، فهذا شرك في الإلهية، وسؤاله إياه تلك الحاجة من جلب خير أو دفع شر معتقدا أنه قادر على قضاء ذلك، هذا شرك في الربوبية حيث اعتقد أنه متصرف مع الله في ملكوته، ثم إنه لم يدعه هذا الدعاء من دون الله إلا مع اعتقاده أنه يسمعه على البعد والقرب في أي وقت كان وفي أي مكان ويصرحون بذلك، وهو شرك في الأسماء والصفات حيث أثبت له سمعا محيطا بجميع المسموعات، لا يحجبه قرب ولا بعد، فاستلزم هذا الشرك في الإلهية الشرك في الربوبية والأسماء والصفات) انتهي .

وقد بعثت جميع الرسل بأقسام التوحيد اثلاثة ،ودعوا إليها جميعا ، فمن الغلط أن يقال أن الرسل لم يدعوا إلا إلي توحيد العبادة فقط ، وإنما يقال أن الأقوام كان عندهم شيء من توحيد الربوبية وشيء من توحيد الأسماء والصفات ول يكن عندهم شيء من توحيد العبادة ؛ فدعت الرسل إلي الأقسام الثلاثة إلا أنهم لما وافقت دعوتهم ما عندهم في النوعيين الأولين وخالفوا في الثالث وقعت الخصومة في توحيد العبادة ، فالنزاع والخصومة بين الرسل وأقوامهم في توحيد العبادة لا في القسمين الآخرين .

وفي هذا رد علي شبهة يثيرها مشركو العصر وهي أن الله كفر مشركي العرب لشركهم به في الربوبية لا الألوهية وحرفوا الآيات المحكمة الصريحة في بيان حال مشركي العرب الذين أرسل الله إليهم محمدا يدعوهم إلي التوحيد وإخلاص العبادة لله بعد محاجتهم بنسبة افعال

ربوبية الله سبحانه له وحده لا لآلهتم فقالوا بل كفروا لأنهم نافقوا وأظهروا خلاف ما أبطنوه من الشرك في الربوبية !!

وجواب هذه الشبهة التي هي أوهي من بيت العنكبوت أن الشرك في الربوبية لازم لهم من جهة إشراكهم في الإلهية وكذا في الأسماء والصفات، إذ أنواع التوحيد متلازمة لا ينفك نوع منها عن الآخر، وهكذا أضدادها فمن ضاد نوعاً من أنواع التوحيد بشيء من الشرك فقد أشرك في الباقي، مثال ذلك في هذا الزمن عبَّاد القبور إذا قال أحدهم: يا شيخ فلان لذلك المقبور أغثني أو افعل لي كذا ونحو ذلك يناديه من مسافة بعيدة وهو مع ذلك تحت التراب وقد صار تراباً.

فدعاؤه إيَّاه عبادة صرفها له من دون الله لأنَّ الدعاء مخ العبادة، فهذا شرك في الإلهية، وسؤاله إياه تلك الحاجة من جلب خير أو دفع ضر أو رد غائب أو شفاء مريض أو نحو ذلك مما لا يقدر عليه إلا الله معتقداً أنَّه قادر على ذلك هذا شرك في الربوبية حيث اعتقد أنَّه متصرف مع الله تعالى في ملكوته. ثم إنَّه لم يدعه هذا الدعاء إلا مع اعتقاده أنَّه يسمعه على البعد والقرب في أيّ وقت كان وفي أيّ مكان ويصرحون بذلك، وهذا شرك في الأسماء والصفات حيث أثبت له سمعاً محيطاً بجميع المسموعات لا يحجبه قرب ولا بعد، فاستلزم هذا الشرك في الإلهية الشرك في الربوبية والأسماء والصفات .

ومن شبهات مشركي العصر ايضا إذا نصحتهم بإخلاص العبادة لله وحده وإفراده بطلب المدد والشفاعة وغيرها من المنافع أو دفع المضار قالوا نحن نعلم أن الحسين والنبي صلي الله عليه وسلم لا يملكون المدد فكيف يكون التوسط بهم شركا ! منكرين ! ، وهذا من تلبيس إبليس فإنه شرك في العبادة والتوجه والطلب الذي أخرجوه من اقسام التوحيد ، رغم أن الشرك في العبادة هو أول شرك وقع في الأرض كما سيأتي في باب (الغلو في قبور الصالحين تصيرها اوثانا تعبد) وسيأتي أن قوم نوح صلي الله عليه وسلم وهو أول رسول أرسل كان شركهم في الالتجاء إلي الصالحين المقبورين كود وسواع ويغوث ويعوق ونسر ، فالعبادة بأنواعها حقٌّ خالصٌ لله لا يجوز صرفها لغيره سواء اعتقد العابدُ في معبوده أنَّه ربٌّ أو لم يعتقد، وهذا أمرٌ معلومٌ من الدين بالضرورة

قال ابن تيمية في المجموع (3-272) :

"فإنَّ المسلمين متفقون على ما علموه بالاضطرار من دين الإسلام أنَّ العبد لا يجوز أن يعبد ولا يدعو ولايستغيث ولا يتوكل إلا على الله، وأنَّ من عبد ملكاً مقرباً أو نبياً مرسلاً أو دعاه أو استغاث به فهو مشرك، فلا يجوز عند أحد من المسلمين أن يقول القائل يا جبرائيل أو يا ميكائيل أو يا إبراهيم أو يا موسى أو يا رسول الله اغفر لي أو ارحمني أو ارزقني أو انصرني أو أغثني أو أجرني من عدوي أو نحو ذلك، بل هذا كله من خصائص الإلهية وهذه

مسألة شريفة معروفة قد بينها العلماء" ، ولم يكن شرك مشركي العرب الذين بعث فيهم رسول الله صلي الله عليه وسلم لأنهم يعتقدون أن آلهتهم تخلق وترزق ، وقد سبق إيراد النصوص في أنهم يفردونه بذلك اصلا ولكن كفروا بسبب عبادتهم مع الله غيره ، قال ابن تيمية "وكانوا [أي: المشركون] معترفين بأنَّ آلهتهم لم تشارك الله في خلق السماوات والأرض، ولا خلق شيء، بل كانوا يتخذونهم شفعاء ووسائط. كما قال تعالى: {وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللهِ مَا لاَ يَضُرُّهُمْ وَلاَ يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلآءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللهِ}

وقال الشيخ عبد اللطيف في تحفة الطالب والجليس (59):

("والشرك جعل شريكٍ لله تعالى فيما يستحقه، ويختص به من العبادة الباطنة والظاهرة، كالحب، والخضوع، والتعظيم، والخوف، والرجاء، والإنابة، والتوكل، والنسك - أي الذبح -، والطاعة، ونحو ذلك من العبادات، فمتى أشرك مع الله غيره في شيء من ذلك فهو مشرك بربه قد عدل به سواه وجعل له نداً من خلقه، ولا يشترط في ذلك أن يعتقد له شركة في الربوبية، أو استقلالاً بشيء منها والعجب كل العجب أنَّ مثل هؤلاء يقرؤون كتاب الله، ويتعبدون بتلاوته، وربما عرفوا شيئاً من قواعد العربية، وهم في هذا الباب من أضلِّ خلق الله وأبعدهم عن فهم وحيه وتنزيله") انتهي .

ومن شبهاتهم الواهية أيضا زعمهم أن المشركين في عهد رسول الله صلي الله عليه وسلم كفروا بإنكارهم وجود الخالق والبعث ، وهذا يرده القران كله فكم من اية أثبت فيها المشركون أنهم ما عبدوا الهتم إلا ليقربوهم إلي الله ، ومعرفة حال مشركي الجاهلية كما سبق بيانه واضح في إثباتهم وجود الله وإنما كفروا بإشراكهم الهتم معه في العبادة ، فليس كل المشركين ملحدين بل منهم من أنكر وجود الباري سبحانه ، ومنهم من اعتقد وجوده بل وحّده في الخلق والرزق وغيرها من افعال الربوبية كما سبق بيانه وسبقت فيه الايات الكثيرة ، بالإضافة إلي أنه ينبغي أن تعلم أنه لا علاقة بين إنكار البعث وإنكار الخالق فإن من أنكر البعث في عهد رسول الله صلي الله عليه وسلم كانوا مثبتين لوجود الخالق ، وبيان حالهم كما تقدم صريح في ذلك ، بل منهم منهم من كان يؤمن إضافة إلى إيمانه بوجود الله الخالق الرازق بالمعاد وبعث الأبدان والحساب، كما قال زهير وهو جاهلي (يؤخر فيوضع في كتاب فيدخر ... ليوم حساب أو يعجل فينقم) وبعضهم يؤمن إضافة إلى إيمانه بوجود الله الخالق الرازق بالقدر كما قال عنترة:
يا عبل أين من المنية مهرب ... إن كان ربي في السماء قضاها

ومن شبهاتهم أيضا تسويتهم بين الرب والإله حتي يثبتوا أنه لا فرق بين توحيد الربوبية والألوهية اكتفاء منهم بالربوبية حتي ينفق شركهم بالله – سبحانه - في العبادة ويأبي الله ذلك ورسوله والمؤمنون

ورد ذلك بأن تعلم أن أسماء الله أعلامٌ وأوصاف ، فهي باعتبار دلالتها على الذات أعلامٌ، وباعتبار دلالتها على المعاني أوصافٌ، وهي بالاعتبار الأول مترادفةٌ؛ لدلالتها على مسمّى واحد وهو الله عز وجل، وبالاعتبار الثاني متباينةٌ؛ لدلالة كل واحد منها على معناه الخاص، فالرب الخالق العليم السميع البصير الأحد الصمد كلها أسماءٌ لمسمّى واحدٍ وهو الله سبحانه وتعالى، لكن معنى الرب غير معنى السميع، ومعنى السميع غير معنى البصير، ومعنى البصير غير معنى الأحد، وهذا أمرٌ ظاهرٌ لا خفاء فيه، وهو خلاف قول المعتزلة القائلين بأنَّ أسماء الله أعلامٌ محضةٌ لا تدل على معانٍ.

واسم الإله واسم الرب من ذلك فكُتب اللغة مطبقةٌ على أنَّ الرب بمعنى المالك الذي له الربوبية على جميع الخلق لا شريك له، وأمَّا الإله فهو المعبود، من التأله وهو التعبد.

قال في القاموس (ورَبُّ كُلِّ شَيْءٍ: مالِكُهُ ومُسْتَحِقُّه، أو صاحِبُهُ، ج: أرْبابٌ ورُبُوبٌ) .

وقال أيضا (إلهُ، كفِعالٍ، بمعنى مَأْلُوهٍ، وكلُّ ما اتُّخِذَ مَعْبُوداً إلهٌ عند مُتَّخِذِهِ،والتَّأَلُّه: التَّنَسُّكُ، والتَّعَبُّدُ).

وقال الزبيدي في تاج العروس (وأَصْلُه إلاهٌ كفِعالٍ بمعْنَى مَأْلُوهٍ) ، لأنَّه مَأْلُوه أَي مَعْبودٌ،)

وقال (الرَّبُّ) هُوَ اللَّهُ عَزَّ وجلَّ، وَهُوَ رَبُّ كلِّ شيءٍ، أَي مالِكُه)

واسم الرب والإله من الأسماء التيي إذا افترقت اجتمعت وإذا اجتمعت افترقت كالإسلام والإيمان وقد بينتهما في كتابي (مسألة الإيمان)وكالفقير والمسكين ، فإذا افترق اسم الرب عن اسم الإله شمل كل منهم الآخر وإذا اجتمعا فرقنا بينهما باعتبار ما سبق .

ومع وضوح حقيقة التوحيد الذي أرسلت به الرسل ، قلبت الفرق حقيقته فزعموا أن توحيد الربوبية كاف للنجاة وأخرجوا من مسمي التوحيد توحيد العبادة .

يقول الشهرستاني المبتدع :

"وأمَّا التوحيد فقد قال أهل السنة وجميع الصفاتية: إن الله تعالى واحد في ذاته لا قسيم له، وواحد في صفاته الأزلية لا نظير له، وواحد في أفعاله لا شريك له" .

وقال البيجوري وهو من المتكلمين المبتدعة :

"ويجب في حقه تعالى الوحدانية في الذات وفي الصفات وفي الأفعال؛ ومعنى الوحدانية في الذات أنها ليست مركبة من أجزاء متعددة، ومعنى الوحدانية في الصفات أنه تعالى ليس له صفتان فأكثر من جنس واحد كقدرتين وهكذا، وليس لغيره صفة تشابه صفته تعالى، ومعنى الوحدانية في الأفعال أنَّه ليس لغيره فعل من الأفعال، وضدها التعدد"

فظهر إهمالهم في هذا التقسيم لذكر توحيد الألوهية والدعوة إلى إخلاص العبادة لله وإفراده وحده بجميع أنواع العبادة، الذي هو زبدة دعوة الرسل وروحها، فهذا النوع من التوحيد لا ذكر له عندهم البتة ، مع نفيهم الصفات وتحريفها وتعطيلها ومع ذلك يسمونه توحيدا!

- وبهذا تعلم أن المعنى الصحيح لشهادة أن لا إله إلا الله: الاعتقاد والاقرار، أنه لا يستحق العبادة إلا الله، والتزام ذلك والعمل به، (فلا إله) نفي لاستحقاق من سوى الله للعبادة كائناً من كان وما كان ، و(إلا الله) إثبات لاستحقاق الله وحده للعبادات كلها في جميع اللحظات، ومعنى هذه الكلمة إجمالا: لا معبود حق إلا الله، وخبر (لا) يجب تقديره: بـ(حق) ولا يجوز تقديره بموجود؛ لأن هذا خلاف الواقع، فالمعبودات غير الله موجودة بكثرة؛ فيلزم منه أن عبادة هذه الأشياء عبادة لله، وهذا من أبطل الباطل وهو مذهب أهل وحدة الوجود الذين هم أكفر أهل الأرض، وقد دلت لاإله إلا الله علي أقسام التوحيد الثلاثة بدلالة التضمن بحسب ما تقدم من بيان العلاقة بين أقسام التوحيد فدلالتها علي توحيد العبادة متضمن لتوحيده سبحانه بأسمائه وصفاته وأفعاله ، وفي هذا رد علي الاشاعرة المهملين لتوحيد العبادة وقولهم أنهم عرفوا بنوع من أنواع التوحيد فلم نقول انهم مشركون فنقول قد فسرتموها بما لا يتضمن سائر أنواع التوحيد لا سيما توحيد العبادة ، غير أن الإله هو المعبود لا القادر علي الاختراع علي ما سياتي بيانه ، فتفسيرهم لها باطل شرعا ولغة .

وقد فُسرت هذه الكلمة بتفسيرات باطلة منها:

(أ) أن معناه: لا معبود إلا الله. وهذا باطل؛ لأن معناه: أن كل معبود بحق أو باطل هو الله، كما سبق بيانه قريباً.

(ب) أن معناها: لا خالق إلا الله. وهذا جزء من معنى هذه الكلمة؛ ولكن ليس هو المقصود؛ لأنه لا يثبت إلا توحيد الربوبية، وهو لا يكفي وهو توحيد المشركين.

(ج) أن معناها: لا حاكمية إلا الله، وهذا أيضاً جزء من معنى هذه الكلمة؛ وليس هو المقصود؛ لأنه لو أفرد الله بالحاكمية فقط ودعا غير الله أو صرف له شيئاً من العبادة لم يكن موحداً، وكل هذه تفاسير باطلة أو ناقصة؛ وإنما نبهنا عليها لأنها توجد في بعض الكتب المتداولة.

وإنما التفسير الصحيح لهذه الكلمة العظيمة عند سلفنا الصالحين من الصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان :

أن يُقال: (لا معبود بحق إلا الله) كما سبق.

د) كذلك من قال أن معنها لا معبود موجود فقد أخطا لأن المخلوقات المعبودة مع الله كثير كالصالحين والكواكب والنجوم والنار والقبور والحيوانات والشياطين وغيرهم فهي معبودات موجودة لكنها باطلة وما عبدت إلا بالظلم والجور علي حق الله الخالص ألا وهو العبادة ولهذا قال تعالي (فما أغنت عنهم آلهتهم التي يدعون من دون الله من شيء لما جاء أمر ربك) فسماها آلهة لكنها الهة باطلة فتعريف الشهادة بلا اله موجود تعريف باطل .

واعلم - وفقك الله لمرضاته – أن لا إله إلا الله لها ركنان هما: النفي والإثبات:

فالركن الأول: النفي: فقولنا لا إله: يُبطل الشرك بجميع أنواعه، ويُوجب الكفر بكل ما يعبد من دون الله.

الركن الثاني: الإثبات: فقولنا إلا الله: يثبت أنه لا يستحق العبادة إلا الله، ويُوجب علي العبد العمل بذلك.

ولا بد من اعتقاد الركنين معا لأن مجرد النفي إلحاد ، ومجرد الإثبات لا يمنع المشاركة .

وقد جاء معنى هذين الركنين في كثير من الآيات، مثل قوله تعالى: ((فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ)) سورة البقرة.

فقوله: ((فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ)) هو معنى الركن الأول (لا إله) وقوله: ((وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ)) هو معنى الركن الثاني (إلا الله).

وكذلك قوله عن إبراهيم عليه السلام: ((إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ * إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ)) سورة الزخرف .

فقوله: ((إِنَّنِي بَرَاءٌ)) هو معنى النفي في الركن الأول، وقوله: ((إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي)) هو معنى الإثبات في الركن الثاني.

ولهذا لم يقل لهم الرسول صلي الله عليه وسلم قولوا الله إله لانهم كانوا يعلمون ذلك كما تقدم ولكن قال لهم قولوا لا إله إلا الله تفلحوا ، فكانوا يعبدونه سبحانه لكن لم يعبدوه وحده ، قال تعالي (وإذا ذكرت ربك في القران وحده ولوا علي أدبارهم نفورا) ، وقال (وإذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخر) ، وقال (قالوا أجئتنا لنعبد الله وحده ونذر ماكان يعبد آباؤنا) ، وقال (وإذا ذكرت ربك في القران وحده ولوا علي أدبارهم نفورا) .

فمعني الإله هو مما يتعلق به صميم التوحيد ، وهو (المعبود) شرعا ولغة ، وهنا وقع اضطراب وتناقض عند الأشاعرة لأنهم يقولون أن معني الإله شرعا المستغني عما سواه المفتقر إليه كل من عداه أو القادر علي الاختراع فيعرفون الإله بمحض الربوبية وسبق أن توحيد الربوبية بمجرده لا يدخل أحدا في الإسلام حتي يقرنه بلازمه من توحيد الإلهية وتوحيد العبادة ، مع أن اللغويين منهم أصحاب القواميس يعرفونه في اللغة بأنه المعبود وقد سبق كلام الزبيدي والفيروزآبادي ، وسبب هذا التناقض هو أنهم يقدمون المعقول علي المنقول في العقيدة فيعتمدون الأدلة العقلية لا الشرعية .

وكلمة (إله) حال تنكيرها تشمل المعبود بحق والمعبود بباطل ، ولهذا لما قال الرسول صلي الله عليه وسلم لقومه (قولوا لا إله إلا الله تفلحوا) قالوا (أجعل الآلهة إلها واحدا إن هذا لشيء عجاب) .

فقد أقروا بأن كلمة الإله تشمل المعبود بالحق وهو الله سبحانه وتعالي ، والمعبود بالباطل ، واستنكروا أن تكون الآلهة الأخري باطلة ، وفي ذلك يقول تعالي (فما أغنت عنهم آلهتهم التي يدعون من دون الله من شيء لما جاء أمر ربك وما زادوهم غير تتبيب) فسمي الله سبحانه آلهتهم الباطلة التي أشركوها آلهة

وبهذا تعلم فساد من عرف معني الشهادة بلا إله موجود فهذا قول باطل كما سبق ، غير أنه يلزم منه أن عبادة هذه الأشياء عبادة لله، وهذا من أبطل الباطل وهو مذهب أهل وحدة الوجود الذين هم أكفر أهل الأرض.

فالإله اسم يطلق علي كل معبود بحق أو بباطل ولكنه غلب استعماله بمعني المعبود بحق .

كلمة إله علي وزن فعال وهي تأتي بمعني فاعل وبمعني مفعول

ومعناها عند الموحدين بمعني مفعول فإله أي مألوه وهو المعبود محبة وتعظيما

وعند المشركين بمعني فاعل أي القادر علي الاختراع والخلق

ولكن قضت نصوص الشريعة كتابا وسنة أنها بمعني مألوه وهو المعبود

فمن اعتقد أن الله وحده هو الخالق الرازق المدبر ولكن طلب المدد من غيره أو الشفاعة من غيره أو صرف أي عبادة لغيره معه كان كافرا ولو اعتقد ان الله لا خالق غيره ولا رازق غيره

ولهذا لما قال النبي صلي الله عليه وسلم لقومه (اعبدوا الله ما لكم من إله غيره)

قالوا (أجعل الآلهة إلها واحدا ! إن هذا لشيء عجاب)

فافهم ولا يصدنك الأشاعرة المشركون الملبسون علي الناس توحيدهم لا يصدنك عن التوحيد الذي جاءت به الرسل ، بحجة محبة محمد وآل بيت محمد صلي الله عليه وسلم ورضيي الله عنهم جميعا !!!

وفي ذلك قال ابن تيمية في المجموع :

((الإله) هو المعبود المطاع، فإن الإله هو المألوه، والمألوه هو الذي يستحق أن يُعبد، وكونه يستحق أن يُعبد هو بما اتصف به من الصفات التي تستلزم أن يكون هو المحبوب غاية الحب، المخضوع له غاية الخضوع.. فإن الإله هو المحبوب المعبود الذي تألهه القلوب بحبها، وتخضع له وتذل له، وتخافه وترجوه، وتنيب إليه في شدائدها، وتدعوه في مهماتها، وتتوكل عليه في مصالحها، وتلجأ إليه وتطمئن بذكره، وتسكن إلى حبه، وليس ذلك إلا لله وحده، ولهذا كانت (لا إله إلا الله) أصدق الكلام، وكان أهلها أهل الله وحزبه، والمنكرون لها أعداءه وأهل غضبه ونقمته، فإذا صحت صح بها كل مسألة وحال وذوق، وإذا لم يصححها العبد فالفساد لازم له في علومه وأعمال))." انتهي .

ومما يدل علي أن الإله معناه المعبود مع ما سبق من بيان حقيقة شرك الجاهلية ومحل النزاع بين الرسل وأقوامهم – خلافا للأشاعرة ومن علي شاكلتهم –

1. معرفة حال مشركي العرب وأنهم اعتقدوا توحيد الله في كثير من أفراد ربوبيته سبحانه بل كانوا مقرين بكثير من اسماء الله وصفاته ولم يرد إنكارهم لآحاد أفراد ذلك إلا استكبارا أو عنادا كما سبق .

2. غير أن الآيات في بيان ذلك محكمة كما قال تعالي (لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ) ، وقوله (وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۗ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ) ، وقوله عن قوم عاد لهود عليه السلام (قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا ۖ فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ) ، وقوله عز وجل في ثمود (وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا ۗ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۖ قَدْ جَاءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ هَٰذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً ۖ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ ۖ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) ، وعن مدين (وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۗ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۖ قَدْ جَاءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ) وكذلك في آيات سورة هود .

وأوامر الله عز وجل في كتابه بعبادته وحده كثيرة كقوله تعالي (قل إنما أمرت أن أعبد الله ولا أشرك به) ، وقوله تعالي (وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء) ، وقوله تعالي (بل الله فاعبد) وتقديم ما حقه التأخير يفيد القصر والحصر ، وقوله تعالي (وقضي ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا) ، وقوله تعالي (واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا) ، والايات في هذا كثيرة لا تخفي إلا علي من طمس الله بصيرته وصرف قلبه عن توحيده ، نسأل الله العافية والهداية .

3. وفي اللغة كذلك ، وقد سبق كلام الفيروزآبادي والزبيدي أن الإله المعبود لا القادر علي الاختراع ، كما في قراءة ابن عباس رضي الله عنهما (ويذرك وإلاهتك) أي عبادتك .

قال الشيخ سليمان في التيسير

(وهذا التوحيد – يعني توحيد العبادة - هو أول الدين وآخره وباطنه وظاهره وهو اول دعوة الرسل وآخرها وهو معنى قول لا إله إلا الله فإن الإله هو المألوه المعبود بالمحبة والخشية والاجلال والتعظيم وجميع انواع العبادة ولأجل هذا التوحيد خلقت الخليقة وأرسلت الرسل وأنزلت الكتب وبه افترق الناس إلى مؤمنين وكفار وسعداء اهل الجنة وأشقياء أهل النار قال الله تعالى يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون فهذا أول أمر في القرآن وقال تعالى لقد أرسلنا نوحا الى وقومه فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره فهذا دعوة أول رسول بعد حدوث الشرك وقال هود لقومه اعبدوا الله ما لكم من إله غيره وقال صالح لقومه اعبدوا الله ما لكم من إله غيره وقال شعيب لقومه اعبدوا الله ما لكم من إله غيره وقال ابراهيم عليه السلام لقومه اني وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين وقال تعالى وما ارسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون وقال تعالى واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون

وقال تعالى وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون وقال هرقل لأبي سفيان لما سأله عن النبي ﷺ ما يقول لكم قال يقول اعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا واتركوا ما يقول آباؤكم وقال النبي ﷺ لمعاذ انك تأتي قوما أهل كتاب فليكن أول ما تدعوهم اليه شهادة أن لا إله إلا الله وفي رواية ان يوحدوا الله .

وهذا التوحيد هو أول واجب على المكلف لا النظر ولا القصد الى النظر ولا الشك في الله كما هي أقوال لمن لم يدر ما بعث الله به رسوله ﷺ من معاني الكتاب والحكمة فهو أول واجب وآخر واجب وأول ما يدخل به الاسلام وآخر ما يخرج به من الدنيا كما قال ﷺ من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة حديث صحيح وقال أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله متفق عليه وقد أفصح القرآن عن هذا النوع كل الافصاح وأبدأ فيه وأعاد وضرب لذلك الأمثال بحيث أن كل سورة في القرآن ففيها الدلالة على هذا التوحيد .

ويسمى هذا النوع :

- توحيد الإلهية ؛ لأنه مبني على إخلاص التآله وهو أشد المحبة لله وحده وذلك يستلزم إخلاص العبادة .
- وتوحيد العبادة لذلك .
- وتوحيد الارادة لأنه مبني على إرادة وجه الله بالاعمال .
- وتوحيد القصد ؛ لأنه مبني على إخلاص القصد المستلزم لإخلاص العبادة لله وحده .
- وتوحيد العمل ؛ لأنه مبني على إخلاص العمل لله وحده قال الله تعالى فاعبد الله مخلصا له الدين وقال قل إني أمرت أن أعبد الله مخلصا له الدين وأمرت لأن أكون أول المسلمين قل الله اعبد مخلصا له ديني فاعبدوا ما شئتم من دونه الى قوله ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون ورجلا سلما لرجل هل يستويان مثلا الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون الى قوله قل أفرأيتم ما تدعون من دون الله إن أرادني الله بضر هل هن كاشفات ضره أو أرادني برحمة هل هن ممسكات رحمته الآية إلى قوله اتخذوا من دون الله شفعاء قل أو لو كانوا لا يملكون شيئا ولا يعقلون قل لله الشفاعة جميعا الآية الى قوله وأنيبوا الى ربكم واسلموا له من قبل ان يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون إلى قوله قل أفغير الله تأمروني أعبد أيها الجاهلون ولقد أوحي إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين بل الله فاعبد وكن من الشاكرين الى آخر السورة .

وهذا التوحيد هو حقيقة دين الاسلام الذي لا يقبل الله من أحد سواه كما قال النبي ﷺ بني الاسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وإقام الصلاة وايتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت رواه البخاري ومسلم فأخبر أن دين الإسلام مبني على هذه

الأركان الخمسة وهي الأعمال فدل على أن الاسلام هو عبادة الله وحده لا شريك له بفعل المأمور وترك المحظور والاخلاص في ذلك لله وقد تضمن ذلك جميع أنواع العبادة فيجب إخلاصها لله تعالى فمن أشرك بين الله تعالى وبين غيره في شيء فليس بمسلم .

فمنها المحبة فمن أشرك بين الله تعالى وبين غيره في المحبة التي لا تصلح إلا لله فهو مشرك كما قال تعالى ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله الى قوله تعالى وما هم بخارجين من النار

ومنها التوكل فلا يتوكل على غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله قال الله تعالى وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين وعلى الله فليتوكل المؤمنون والتوكل على غير الله فيما يقدر عليه شرك أصغر

ومنها الخوف فلا يخاف خوف السر إلا من الله ومعنى خوف السر هو أن يخاف العبد من غير الله تعالى ان يصيبه مكروه بمشيئته و قدرته وإن لم يباشره فهذا شرك أكبر لأنه اعتقاد للنفع والضر في غير الله قال الله تعالى فإياي فارهبون وقال تعالى فلا تخشوا الناس واخشون وقال تعالى وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يردك بخير فلا راد لفضله يصيب به من يشاء من عباده وهو الغفور الرحيم ومنها الرجاء فيما لا يقدر عليه إلا الله كمن يدعو الأموات أو غيرهم راجيا حصول مطلوبه من جهتهم فهذا شرك أكبر قال الله تعالى ان الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله أولئك يرجون رحمة الله وقال علي رضي الله عنه لا يرجون عبد إلا ربه ومنها الصلاة والركوع والسجود قال الله تعالى فصل لربك وانحر وقال تعالى يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم الاية

ومنها الدعاء فيما لا يقدر عليه إلا الله سواء كان طلبا للشفاعة أو غيرها من المطالب قال الله تعالى والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم وقال تعالى وقال ربكم ادعوني استجب لكم ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين وقال تعالى ولا تدع من دون الله مالا ينفعك ولا يضرك فإن فعلت فإنك إذا من الظالمين وقال تعالى ام اتخذوا من دون الله شفعاء قل أو لو كانوا لا يملكون شيئا ولا يعقلون قل لله الشفاعة جميعا الآية

ومنها الذبح قال الله تعالى قل ان صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له الآية والنسك الذبح ومنها النذر قال الله تعالى وليوفوا نذورهم وقال تعالى يوفون بالنذر ويخافون يوما كان شره مستطيرا ومنها الطواف فلا يطاف إلا ببيت الله قال الله تعالى وليطوفوا بالبيت العتيق ومنها التوبة فلا يتاب إلا لله قال الله تعالى ومن يغفر الذنوب الا الله وقال تعالى وتوبوا الى الله جميعا ايها المؤمنون لعلكم تفلحون

ومنها الاستعاذة فيما لا يقدر عليه إلا الله قال الله تعالى قل اعوذ برب الفلق وقال تعالى قل اعوذ برب الناس

ومنها الاستغاثة فيما لا يقدر عليه إلا الله قال الله تعالى اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم) انتهي

وسيأتي إفراد المحبة والخوف والتوكل في ابوابها مع مزيد بيان وتفصيل لمسائلها إن شاء الله تعالي ، وسيدور فلك علي ثلاثة محاور : التدليل علي أن هذا القول أو الفعل أو الاعتقاد عبادة ، ثم دليل ثان خاص أن صرف هذه العبادة لغير الله شرك أكبر ، ثم دليل ثالث عام علي ان صرف العبادات شرك .

ثم قال رحمه الله

(فمن أشرك بين الله تعالى وبين مخلوق فيما يختص بالخالق تعالى من هذه العبادات أو غيرها فهو مشرك وإنما ذكرنا هذه العبادات خاصة لأن عباد القبور صرفوها للاموات من دون الله تعالى أو أشركوا بين الله تعالى وبينهم فيها وإلا فكل نوع من انواع العبادة من صرفه لغير الله أو شرك بين الله تعالى وبين غيره فيه فهو مشرك قال الله تعالى واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وهذا الشرك في العبادة هوالذي كفر الله به المشركين وأباح به دماءهم وأموالهم ونساءهم وإلا فهم يعلمون أن الله هو الخالق الرازق المدبر ليس له شريك في ملكه وانما كانوا يشركون به في هذه العبادات ونحوها وكانوا يقولون في تلبيتهم لبيك لا شريك لك إلا شريكا هو لك تملكه وما ملك فأتاهم النبي ﷺ بالتوحيد الذي هو معنى لا إله إلا الله الذي مضمونه أن لا يعبد إلا الله لا ملك مقرب ولا نبي مرسل فضلا عن غيرهما فقالوا أجعل الآلهة الها واحدا إن هذا لشيء عجاب .

وكانوا يجعلون من الحرث والأنعام نصيبا لله وللآلهة مثل ذلك فإذا صار شيء من الذي لله الى الذي للآلهة تركوه لها وقالوا الله غني واذا صار شيء من الذي للآلهة الى الذي لله تعالى ردوه وقالوا الله غني والالهة فقيرة فأنزل الله تعالى وجعلوا لله مما ذرا من الحرث والانعام نصيبا فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا فما كان لشركائهم فلا يصل إلى الله وما كان لله فهو يصل إلى شركائهم ساء ما يحكمون وهذا بعينه يفعله عباد القبور بل يزيدون على ذلك فيجعلون للأموات نصيبا من الأولاد) **انتهي** .

وبعد العلم بمعني لا إله إلا الله وأنها قائمة علي ركنين لا بد منهما لصحة التوحيد وهما النفي والإثبات فإن لقول لا إله إلا الله ثمانية شروط لا بد من تحقيقها مجتمعة حتي يتقبلها الله من قائلها فلو سقط شرط منها لكفر إلا أن يحققه ، وقد جمعها سعد بن حمد بن عتيق في قوله :

علم يقين وإخلاص وصدقك ...مع محبة وانقياد والقـــبولِ لهـــا

وزيد ثامنها الكفران منك بما ...سوي الإله من الأشياء قد عُبدا

1) الشرط الأول العلم المنافي للجهل ، يعني العلم بمعناها المستلزم للعمل بمقتضاها من إقامة التوحيد ونفي الشرك والبراءة منه وممن عمله.

والدليل قوله تعالي (فاعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك وللمؤمنين ولمؤمنات والله يعلم متقلبكم وثواكم) .

قال السعدي في تفسيره:

(وهذا العلم الذي أمر الله به -وهو العلم بتوحيد الله- فرض عين على كل إنسان، لا يسقط عن أحد، كائنا من كان، بل كل مضطر إلى ذلك) .

وقال الله عز وجل (إلا من شهد بالحق وهم يعلمون)

والشَّهادةَ بالحَقِّ تتضَمَّنُ العِلْم قطعًا، وإلَّا كان الشَّاهِدُ شاهِدًا بما لا عِلْمَ له به .

وقال الطبري في تفسيره (وشَهادتُه بالحَقِّ: هو إقرارُه بتوحيدِ اللهِ، يعني بذلك: إلَّا من آمَنَ باللهِ، وهم يَعلَمونَ حقيقةَ توحيدِه) .

وقال ابنُ كثيرٍ: (لكِنْ من شَهِدَ بالحَقِّ على بصيرةٍ وعِلمٍ، فإنَّه تنفَعُ شَفاعتُه عنده بإذنِه له)

والدليل من السنة قول النبي صلي الله عليه وسلم من حديث أبي هريرة عند مسلم (من مات وهو يعلم ان لا اله الا الله دخل الجنة) .

والمراد من الشهادة معناها لا مجرد لفظها ، وقد كان بعض اليهود في عهد النبي صلي الله عليه وسلم يقولونها ولم يفرق النبي بينهم وبين غيرهم من الكفار في القتال حتي يلتزموا معناها من إخلاص العبادات كلها لله وحده وترك الشرك وبغضه والبراءة منه وتكفيرمن فعله .

قال الشيخ سليمان في (تيسير العزيز الحميد شرح كتاب التوحيد) :

(أما قول الانسان لا إله إلا الله من غير معرفة لمعناها ولا عمل لمقتضاها ، او دعواه أنه من أهل التوحيد ، وهو لا يعرف التوحيد بل ربما يخلص لغير الله من عبادته من الدعاء والخوف

والذبح والنذر والتوبة والانابة ، وغير ذلك من انواع العبادات ، فلا يكفي في التوحيد ، بل لا يكون الا مشركا والحالة هذه ، كما هو شأن عباد القبور)

وقال ص48 وما بعدها

(فلا إله إلا الله اشتملت علي نفي وإثبات ، فنفَتِ الإلهيةَ عن كل ما سوي الله تعالي ، فكل ما سواه من الملائكة والأنبياء فضلا عن غيرهم فليس بإله وليس له من العبادة شيء ، إثبات الالهية لله وحده بمعني أن العبد لا يأله غيره ،أي لا يقصده بشيء من التأله وهو تعلق القلب الذي يوجب قصده بشيء من أنواع العبادة ، كالدعاء والذبح والنذر وغير ذلك ، وبالجملة فلا يأله إلا الله أي لا يعبد إلا هو .

فمن قال هذه الكلمة عارفا لمعناها ، عاملا بمقتضاها ، من نفي الشرك واثبات الوحدانية لله مع الاعتقاد الجازم لما تضمنته من ذلك والعمل به ، فهذا هو المسلم حقا ، فإن عمل به ظاهرا من غير اعتقاد فهو المنافق ، وإن عمل بخلافها من الشرك فهو الكافر ولو قالها ، ألا تري أن المنافقين يعملون بها ظاهرا وهم في الدرك الاسفل من النار واليهود يقولونها وهم علي ما هم عليه من الكفر والشرك فلم تنفعهم وكذلك من ارتدّ عن الإسلام بإنكار شيء من لوازمها وحقوقها فإنها لا تنفعه ولو قالها مئة ألف فكذلك من يقولها ممن يصرف أنواع العبادة لغير الله كعباد القبور والأصنام فلا تنفعهم ولا يدخلون في الحديث الذي جاء في فضلها وما أشبهه من الأحاديث ، وقد بين النبي صلي الله عليه وسلم ذلك بقوله (وحده لا شريك له) تنبيها علي أن الانسان قد يقولها وهو مشرك ، كاليهود والنصاري وعباد القبور ...أما عباد القبور فلم يعرفوا معني هذه الكلمة ولا عرفوا الإلهية المنفية عن غير الله الثابتة له وحده لا شريك له بل لم يعرفوا من معناها إلا ما أقر به المؤمن والكافر واجتمع عليه الخلق كله ، من أن معناها لا قادر علي الاختراع ، أو أن معني الإله هو الغني عن ما سواه الفقير إليه كل ما عداه ونحو ذلك فهذا حق ، وهو من لوازم الإلهية ، ولكن ليس هو المراد بمعني لا إله إلا الله فإن هذا القدر قد عرفه الكفار ، وأقروا به ولم يدّعوا في آلهتهم شيئا من ذلك بل يقرون بفقرهم وحاجتهم الي الله وانما كانوا يعبدونهم علي أنهم وسائط وشفعاء عند الله في تحصيل المطالب ونجاح المآرب وإلا فقد سلموا الخلق والملك والرزق والاحياء والاماتة والأمر كله لله وحده لا شريك له وقد عرفوا معني لا إله إلا الله فأبوا عن النطق والعمل بها ، فلم ينفعهم توحيد الربوبية مع الشرك في الإلهية كما قال تعالي (وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون)

وعباد القبور نطقوا بها وجهلوا معناها وأبوا عن الإتيان به ، فصاروا كاليهود الذين يقولونها ولا يعرفون معناها ولا يعملون به ، ولا ريب أنه لو قالها أحد من المشركين ونطق أيضا بشهادة أن محمدا رسول الله ولم يعرف معني الإله ولا معني الرسول وصلي وصام وزكي وحج ولا يدري ما ذلك الا أنه رأي الناس يفعلونه فتابعهم ولم يفعل شيئا من الشرك ، فإنه لا يشكّ أحدٌ في عدم إسلامه ، وقد أفتي بذلك فقهاء المغرب كلهم أول القرن الحادي عشر أو قبله

في شخص كان كذلك كما ذكره صاحب الدر الثمين في شرح المرشد المعين من المالكية ، ثم قال شارحه : (وهذا الذي افتوا به جلي غاية الجلاء ، لا يمكن أن يختلف فيه اثنان) ، ولا ريب أن عباد القبور أشد من هذا لأنهم اعتقدوا الإلهية في أرباب متفرقين .. والنطق بلا إله إلا الله دليل العصمة لا هو العصمة أو يقال هو العصمة لكن بشرط العمل) **انتهي كلامه**.

وقال تعالي (فاعلم أنه لا اله الا الله واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات والله يعلم متقلبكم ومثواكم)، أمر بتعلمها قبل الاستغفار اذ الاستغفار لن ينفع الا علي أساس صحيح وهو شرط صحة كل عمل يأتي به العبد ابتغاء وجه الله ألا وهو التوحيد ، وهو معني لا مجرد كلام كما زعمته المرجئة وهو شرط صحة الأعمال وجوهرها وهو الذي لأجله خلق الخلق ، وكذلك وقوله (إلا من شهد بالحق وهم يعلمون) .

وقال الشيخ عبد اللطيف في الدرر(263 / 12)

(وقد غلط كثير من المشركين في هذه الأعصار، وظنوا أن من كفّر من تلفظ بالشهادتين، فهو من الخوارج وليس كذلك، بل التلفظ بالشهادتين لا يكون مانعا من التكفير إلا لمن عرف معناهما، وعمل بمقتضاهما، وأخلص العبادة لله، ولم يشرك به سواه؛ فهذا تنفعه الشهادتان

وأما من قالهما ولم يحصل منه انقياد لمقتضاهما، بل أشرك بالله، واتخذ الوسائط والشفعاء من دون الله، وطلب منهم ما لا يقدر عليه إلا الله، وقرب لهم القرابين، وفعل لهم ما يفعله أهل الجاهلية من المشركين، فهذا لا تنفعه الشهادتان بل هو كاذب في شهادته كما قال تعالي : إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله والله يعلم إنك لرسوله والله يشهد إن المنافقين لكاذبون " ، ومعني شهادة أن لا إله إلا الله هو عبادة الله وترك عبادة ما سواه ، فمن استكبر عن عبادته ولم يعبده ، فليس ممن يشهد أن لا إله إلا الله ، ومن عبده وعبد معه غيره ، فليس هو ممن يشهد أن لا إله إلا الله) **انتهي كلامه** .

فأفرض الفروض وأوجب الواجبات وأصل الأصول وأول شرط من شروط صحة الشهادة من قائلها وإلا لم تنفعه : العلم بمعني لاإله إلا الله نفيا وإثباتا واعتقادها وقولها باللسان ، كما قال الله تعالي (فاعلم أنه لاإله إلا الله واستغفر لذنبك) ، وقال الرسول - صلي الله عليه وسلم - كما في الحديث الذي رواه مسلم في صحيحه من حديث عثمان -رضي الله عنه – (من مات وهو يعلم أنه لا إله إلا الله دخل الجنة) فدل علي أن من مات وهو يجهلها دخل النار ، قول الله سبحانه (ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة إلا من شهد بالحق وهم يعلمون) أي يعلمون بقلوبهم ما نطقت به ألسنتهم ، قال ابن سعدي (أي: نطق بلسانه، مقرا بقلبه، عالما بما شهد به) .

2) اليقين المنافي للشكّ

والمراد اليقين الجازم الذي لا يعتريه أدني شك ، يقينا بمعني لا إله إلا الله وبجميع ما جاء به الرسول صلي الله عليه وسلم من العقائد القلبية والأحكام العملية ، فمن شك أو تردد في شيء منها فقد كفر كمن يشك في وحدانية الله أو صدق رسول الله أو في البعث أو في الملائكة أو القدر أو في فرضية الصلاة والزكاة وغيرها من العبادات .

وهذ اليقين لا بد أن يكون تاما حتي يتحقق العبد من هذا الشرط فمن قال أعطوني فرصة أفر أو أنه متيقن بنسب 99وتسعة من عشرة في المئة لكن أنظر ، نقول هذا ليس بيقين وإذا مات يكون كافرا ، بل لا يكون يقينا حتي يدعو الله أن يميته علي هذه العقيدة ، فالعقيدة يمعني معقودة أي عقد القلب عليها فلا ينفلت من شدة الاستمساك به .

ودليله قول الله عز وجل (إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله **ثم لم يرتابوا** وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون)

قال ابن كثير (لم يشكوا ولا تزلزلوا ، بل ثبتوا على حال واحدة ، وهي التصديق المحض)

وقال عن قوله تعالي (في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا) هو الشك والتكذيب فكان عندهم هذا وهذا .

وقال الطبري في قوله (في قلوبهم مرض)

(والمرضُ الذي ذكر الله جل ثناؤه أنّه في اعتقاد قلوبهم الذي وصفناه: هو شكُّهم في أمر محمد وما جاء به من عند الله، وتحيُّرُهم فيه، فلا هم به موقنون إيقان إيمان، ولا هم له منكرون إنكارَ إشراك، ولكنهم، كما وصفهم الله عز وجل، مُذَبْذَبُونَ بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء(٤) كما يقال: فلانٌ يمَرِّضُ في هذا الأمر، أي يُضَعِّف العزمَ ولا يصحِّح الروِيَّة فيه.)

قال ابن عثيمين (أي: لم يلحقهم شك في الإيمان بالله ورسوله، فإذا قال قائل: ما هي الطريق التي توجب للإنسان ثبوت الإيمان واستقراره؟ قلنا: أولًا: أن يتفكر في مخلوقات الله سبحانه وتعالى، وأن هذه المخلوقات العظيمة لم تكن وليدة الصدفة، ولم تكن وليدة بنفسها، وأن يتفكر أيضًا في شريعة الله وكمالها، وأن يتفكر في سيرة النبي ﷺ وآياته، وما إلى ذلك، وكذلك أيضًا يُكثِر من ذكر الله عز وجل، فإن بذكر الله تطمئن القلوب، ويكثر من الطاعات والأعمال الصالحة؛ لأن الطاعات والأعمال الصالحة تزيد في الإيمان كما هو مذهب أهل السنة والجماعة رحمهم الله).

وقال الطبري

(إنما المؤمنون أيها القوم الذين صدّقوا الله ورسوله، ثم لم يرتابوا، يقول: ثم لم يشكوا في وحدانية الله، ولا في نبوّة نبيه ﷺ، وألزم نفسه طاعة الله وطاعة رسوله، والعمل بما وجب عليه من فرائض الله بغير شكّ منه في وجوب ذلك عليه) .

ومن السنة عند البخاري من حديث سلمة رضي الله عنها أن النبي صلي الله عليه وسلم قال

(أشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله لا يلقي اللهَ بهما عبدٌ **غير شاكٍّ فيهما** إلا دخل الجنة)

وقوله لأبي هريرة رضي الله عنه كما في الصحيح (من لقيتَ من وراء هذا الحائط يشهد أن لا إله إلا الله **مستيقنا بها قلبه** فبشّره بالجنة).

3) الإخلاص المنافي للشرك

ودليله قول الله تعالي (فاعبد الله مخلصا له الدين ألا لله الدين الخالص)

قال الطبري

(يقول تعالى ذكره: فاخشع لله يا محمد - أيها الرسول الكريم - بالطاعة، وأخلص له الألوهة، وأفرده بالعبادة، ولا تجعل له في عبادتك إياه شريكا، كما فَعَلَتْ عَبَدة الأوثان ألا لله العبادة والطاعة وحده لا شريك له، خالصة لا شرك لأحد معه فيها، فلا ينبغي ذلك لأحد، لأن كل ما دونه ملكه، وعلى المملوك طاعة مالكه لا من لا يملك منه شيئا) .

وقول النبي صلي الله عليه وسلم لأبي هريرة رضي الله عنه كما في الصحيحين لما سأله من أسعد الناس بشفاعتك

قال صلي الله عليه وسلم (أسعد الناس بشفاعتي من قال لا إله إلا الله خالصا من قلبه)

فمن قالها وهو عاكف القبر يعبد الميت كما هو حال عباد القبور والأوثان فلن تنفعه الشهادة بل قولها منه غير معتبر شرعا ولو قالها آلاف المرات .

4) الصدق المنافي للتكذيب والنفاق فيقولها صدقا من قلبه لا نفاقا ولا تكذيبا

ودليله قول تعالي (فليعلمنَّ اللهُ الذين صدقوا وليعلمنَّ الكاذبين)

قال ابن كثير (أَيِ: الَّذِينَ صَدَقُوا فِي دَعْوَاهُمُ الْإِيمَانَ مِمَّنْ هُوَ كَاذِبٌ فِي قَوْلِهِ وَدَعْوَاهُ. وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يَعْلَمُ مَا كَانَ وَمَا يَكُونُ، وَمَا لَمْ يَكُنْ لَوْ كَانَ كَيْفَ يَكُونُ(٤) . وَهَذَا مُجْمَعٌ عَلَيْهِ عِنْدَ أَئِمَّةِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ؛ وَلِهَذَا يَقُولُ ابْنُ عَبَّاسٍ وَغَيْرُهُ فِي مِثْلِ: ﴿إلا لِنَعْلَمَ﴾ [الْبَقَرَةِ: ١٤٣] :

إِلَّا لِنَرَى؛ وَذَلِكَ أَنَّ الرُّؤْيَةَ إِنَّمَا تَتَعَلَّقُ بِالْمَوْجُودِ، وَالْعِلْمُ أَعَمُّ مِنَ الرُّؤْيَةِ، فَإِنَّهُ [يَتَعَلَّقُ] بِالْمَعْدُومِ وَالْمَوْجُودِ) .

وفي التفسير الميسر

(فليعلمنَّ الله علمًا ظاهرًا للخلق صدق الصادقين في إيمانهم، وكذب الكاذبين؛ ليميز كلَّ فريق من الآخر.) .

وقال سبحانه عن المنافقين (ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون)

قال الطبري

(الله عز وجل أنبأ عن المنافقين في أول النبأ عنهم في هذه السورة، بأنهم يَكذِبون بدَعْواهم الإيمانَ، وإظهارهم ذلك بألسنتهم، خِداعًا لله عز وجلّ ولرسوله وللمؤمنين، فقال: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ بذلك من قيلهم، مع استسرارهم الشكَّ والريبة، ﴿وَمَا يَخْدَعُونَ﴾ بصنيعهم ذلك ﴿إِلا أَنْفُسَهُمْ﴾ دون رسول الله ﷺ والمؤمنين؛ ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ بموضع خديعتهم أنفسَهم، واستدراج الله عز وجل إيّاهم بإملائه لهم، ﴿فِي قُلُوبِهِمْ﴾ شك النفاق وريبَتُه(١٥) والله زائدهم شكًّا وريبة بما كانوا يَكذِبون الله ورسوله والمؤمنين بقَوْلهم بألسنتهم آمنَّا بالله وباليوم الآخر، وهم في قيلهم ذلك كَذَبة، لاستسرارهم الشَّكَّ والمرض في اعتقادات قلوبهم في أمر الله وأمر رسوله ﷺ.) .

وقوله صلي الله عليه وسلم كما عند البخاري من حديث معاذ رضي الله عنه

(ما من أحد يشهد أن لا اله إلا الله صدقا من قلبه إلا حرَّمه الله علي النار)

يقولها مصدقا بها وبحقها لا مكذبا ، وصادقا لا منافقا النفاق الاعتقادي المكفر .

5) المحبة المنافية للبغض

المحبة لما تضمنته من العقائد القلبية والشرائع العملية، فيحب العبد ربه سبحانه وتعالي وجميع رسله عليهم الصلاة والسلام ويحب جميع ما جاء به الرسول صلي الله عليه وسلم ، فإن أبغض وكره شيئا منها فقد كفر بالله سبحانه وتعالي ، والمراد بالبغض المكفر هو البغض الديني ، لأن البغض أو الكره نوعان بغض ديني اعتقادي ، وبغض طبعي ، والبغض أشد من الكره وكثيرا ما يصاحبه مع نفرة النفس عن الشيء عداوة ، والبغض أو الكره المكفر هو البغض الاعتقادي الديني أي بغض التشريع سواء أبغض الدين كله أو حكما شرعيا ولو واحدا كاللاتي يبغضن تعدد الزوجات بغض تشريع أي تكره حكم الله ، وكالذين يبغضون الناب ويقولون هو عادة جاهلية و اللحية كذلك فهذا كله من الكفر والردة عن دين الله سبحانه

ودليل ذلك قوله تعالي (والذين كفروا فتعسا لهم وأضل أعمالهم ذلك بأنهم كرهوا ما أنزل الله فأحبط أعمالهم)

قال ابن كثير (أيْ: لَا يُرِيدُونَهُ وَلَا يحبونه فأحبط أعمالهم)

وحبوط جميع الأعمال لا يكون إلا بالكفر أو الشرك .

وقال تعالي (لقد جئناكم بالحق ولكن أكثركم للحق كارهون) .

وقال أيضا عز من قائل (ذلك بأنهم اتبعوا ما أسخط الله وكرهوا رضوانه فأحبط أعمالهم)

وقال سبحانه (أم يقولون به جنة بل جاءهم بالحق وأكثرهم للحق كارهون)

وأما الكره الطبعي فهو من جبلة الإنسان لما يلحقه من المشقة فلا يكون كفرا مخرجا من الملة

كما قال تعالي (كتب عليكم القتال وهو كره لكم) ، وقال صلي الله عليه وسلم كما عند مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه (ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات: قالوا: بلى يا رسول الله قال: إسباغ الوضوء على المكاره وكثرة الخطا إلى المساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط فذلكم الرباط) .

6) الانقياد المنافي للإعراض والترك

أن ينقاد ويذعن ويستسلم لما دلَّتْ عليه من العقائد القلبية والشرائع العملية قولا وعملا.

ومن لم ينقد فهو كافر كفر إعراض ، وكفر الإعراض ليس هو التكذيب والجحد المنافي للصدق الذي هو الشرط الرابع المتقدم بيانه وإنما هو التقصير في تعلم الفرض العيني والعمل به مما لا يقوم الإسلام إلا به كالتوحيد والصلاة ، وأما الإعراض عن الواجب الذي هو دون ذلك فيوزر عليه صاحبه ولكن لا يخرجه من الإسلام إن كان محققا لأصل الدين وهو التوحيد قولا وعملا وإقامة الصلاة مع البراءة من الشرك وأهله.

فالإعراض عن دين الله - تعالي - ؛ لا يتعلمه ولا يعمل به بل يتولى ويعرض عنه ولا ينقاد له فهذا ناقض لقول الشهادة من الأساس .

والدليل قوله تعالي : ومن أظلم ممن ذكر بايات ربه ثم أعرض عنها إنا من المجرمين منتقمون

ودليله قوله تعالي (ومن يسلم وجهه إلي الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقي وإلي الله عقبة الأمور)

قال ابن كثير (يَقُولُ تَعَالَى مُخْبِرًا عَمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ، أَيْ: أَخْلَصَ لَهُ الْعَمَلَ وَانْقَادَ لِأَمْرِهِ وَاتَّبَعَ شَرْعَهُ؛ وَلِهَذَا قَالَ: ﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ أَيْ: فِي عَمَلِهِ، بِاتِّبَاعِ مَا بِهِ أُمِرَ، وَتَرْكِ مَا عَنْهُ زُجِرَ، ﴿فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾ أَيْ: فَقَدْ أَخَذَ مُوَثِقًا مِنَ اللَّهِ مَتِينًا أَنَّهُ لَا يُعَذِّبُهُ)

ومثله قوله تعالي (وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لله وَهُوَ مُحْسِنٌ)

قال الطبري

(ومن أحسن دينًا" أيها الناس، وأصوبُ طريقًا، وأهدى سبيلا="ممن أسلم وجهه لله"، يقول: ممن استسلم وجهه لله فانقاد له بالطاعة، مصدقًا نبيه محمدًا ﷺ فيما جاء به من عند ربه ="وهو محسن"، يعني: وهو عاملٌ بما أمره به ربه، محرِّم حرامه ومحلِّل حلاله" واتَّبع ملة إبراهيم حنيفًا"، يعني بذلك: واتبع الدين الذي كان عليه إبراهيم خليل الرحمن، وأمر به بنيه من بعده وأوصاهم به حنيفًا"، يعني: مستقيمًا على منهاجه وسبيله.) . انتهي .

ودليل ذلك أيضا قوله تعالي (ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمي قال رب لم حشرتني أعمي وقد كنت بصيرا قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسي).

ومثله قوله تعالي (والذين كفروا عما أنذروا معرضون).

وقوله تعالي (بل أكثرهم لا يعلمون الحق فهم معرضون).

قال ابن سعدي (أي: وإنما أقاموا على ما هم عليه، تقليدا لأسلافهم يجادلون بغير علم ولا هدى، وليس عدم علمهم بالحق لخفائه وغموضه، وإنما ذلك، لإعراضهم عنه، وإلا فلو التفتوا إليه أدنى التفات، لتبين لهم الحق من الباطل تبينا واضحا جليا ولهذا قال: { فَهُمْ مُعْرِضُونَ }) . انتهي

وقال تعالي (فسئلوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون) ، وأمره سبحانه يقتضي الوجوب ؛ فلا عذر لأحد تمكن من العلم بمعرفة أمر الله تعالي فقصّر هو عنه.

ووجه كون المعرض عن دين الله كافرا أيضا مع الآيات السابقة سقوط شرطين من شروط الشهادة ألا وهما العلم المُنافي للجهل ، والانقياد المنافي للإعراض والترك .

قال في ذلك الشيخ عبدُ اللَّطيفِ بنُ عبدِ الرَّحمنِ آل الشَّيخ كما في الدرر (472 /10)

(إنَّ أحوالَ النَّاسِ تتفاوَتُ تفاوتًا عظيمًا، وتفاوُتُهم بحَسَبِ دَرَجاتِهم في الإيمانِ إذا كان أصلُ الإيمان موجودًا، والتفريطُ والتَّركُ إنَّما هو فيما دون ذلك من الواجباتِ والمستحَبَّاتِ، وأمَّا إذا عُدِمَ الأصلُ الذي يدخُلُ به في الإسلامِ، وأعرضَ عن هذا بالكليَّةِ، فهذا كُفرُ إعراضٍ، فيه قَولُه

تعالى: وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا أُوْلَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ، وقَولُه: وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى)

قال الشيخ سُلَيمان بن سَحمانَ مُعَلِّقًا على هذا الكلامِ

(فتَبَيَّن من كلامِ الشَّيخِ أنَّ الإنسانَ لا يَكفُرُ إلَّا بالإعراضِ عن تعَلُّمِ الأصلِ الذي يدخُلُ به الإنسانُ في الإسلامِ، لا تَرْكِ الواجباتِ والمستحَبَّاتِ).

قال ابن تيمية في كتابه الإيمان(117)

(والتولي هو التولي عن الطاعة، كما قال تعالى: {قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَى قَوْمٍ أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ فَإِن تُطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا وَإِن تَتَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا} ، وقال تعالى: {فَلا صَدَّقَ وَلا صَلَّى وَلَكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّى .

فعلم أن التولي ليس هو التكذيب، بل هو التولي عن الطاعة، فإن الناس عليهم أن يصدقوا الرسول فيما أخبر، ويطيعوه فيما أمر، وضد التصديق التكذيب، وضد الطاعة التولي، فلهذا قال: {فَلا صَدَّقَ وَلا صَلَّى وَلَكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّى} و قد قال تعالى: {وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّن بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُوْلَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ} فنفي الإيمان عمن تولى عن العمل، وإن كان قد أتى بالقول وَقَالَ تَعَالَى: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ} وَقَالَ: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ}) انتهي كلامه .

وأفرض الفروض وأوجب الواجبات وأصل الأصول وأول شرط من شروط صحة الشهادة من قائلها وإلا لم تنفعه : العلم بمعني لاإله إلا الله نفيا وإثباتا واعتقادها وقولها باللسان ، كما قال الله تعالي (فاعلم أنه لاإله إلا الله واستغفر لذنبك) ، وقال الرسول - صلي الله عليه وسلم - كما في الحديث الذي رواه مسلم في صحيحه من حديث عثمان -رضي الله عنه – (من مات وهو يعلم أنه لا إله إلا الله دخل الجنة) فدل علي أن من مات وهو يجهلها دخل النار ، قول الله سبحانه (ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة إلا من شهد بالحق وهم يعلمون) أي يعلمون بقلوبهم ما نطقت به ألسنتهم ، قال ابن سعدي (أي: نطق بلسانه، مقرا بقلبه، عالما بما شهد به) .

وليس المراد بالانقياد العملي أي عمل صالح ، كلا ، فلا يكفي مجرد الصدق في الحديث ورد الأمانات ونحو ذل ، وإنما المراد الواجبات التي يختص بإيجابها محمد صلي الله عليه وسلم أركان الإسلام وعلي رأسها شهادة ألا إله إلا الله قولا وعملا والصلاة فإن تاركها بالكلية كافر كفرأكبر مخرجا من الملة علي الصحيح من قولي العلماء .

7) القبول المنافي للرد

أن يقبل ما دلَّت عليه من القول والعمل وأن يعتقد أنه ملتزم بحقها من الأحكام والشرائع ولا يمتنع فان الامتناع مكفر ، وقد بسطت الكلام في كتابي (مسألة الإيمان وما يتعلق بها من أحكام) عن هذه المكفرات الجحد والتكذيب والامتناع وغيرها فراجعه غير مأمور .

وعلي هذا فالفرق بين شرطي الانقياد ولقبول أن الانقياد في الظاهر قولا وعملا ، وأما القبول فهو الالتزام اعتقادا وأن لا يمتنع بقلبه .

وفي ذلك قال الفوزان لما سل عن الفرق بين شرط الانقياد والقبول

(السائل كان يسأل عن الفرق بينهما: الانقياد في الظاهر، والقبول في القلب، الانقياد في الظاهر، ينقاد المسلم والكافر، كلهم ينقادون في الظاهر، ولكن القبول هذا لا يكون إلا للمؤمن، المنافق لا يقبل في قلبه، وإن انقاد في قلبه، نعم) .

فالمنافق لن ينفعه انقياده ظاهرا حتي يقبل ما دلت عليه بقلبه واعتقاده باطنا، والممتنع لن تنفعه شهادته حتي يقبل كل شريعة واعتقاد ارسل الله عز وجل نبيه صلي الله عليه وسلم به ولو التزم بكل الشرائع الأخري إنما مثل هذا كمثل اليهود الذين امنوا ببعض الكتاب وكفروا ببعض.

وبهذا تعلم أن من مناطات تكفير تارك العمل بجانب أنه خال من عمل القلب وتقدم تحقيق ذلك في بيان مسألة التلازم بين الظاهر والباطن عند أهل السنة كما بينته في كتابي مسأة الإيمان، أنه لم يحقق شرط الانقياد الذي هو شرط لقبول الشهادة من صاحبها ولا شرط القبول .

ومن ادلة ذلك قتال أبي بكر رضي الله عنه لأهل الردة الذين يشهدون أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله ، فقال له عمر كيف نقاتل الناس وقد قال رسول الله صلي الله عليه وسلم (أمرت أن أقاتل الناس حتي يقولوا لا إله إلا الله فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم الا بحقها) قال أبو بكر : إن الزكاة حق المال ، والله لو منعوني عناقا كانوا يؤدونها الي رسول الله صلي الله عليه وسلم لقاتلتهم عليه) حديث متفق عليه.

وقد كفَر مانعوا الزكاة لامتناعهم عن أداء الزكاة وردهم لهذه الشريعة العظيمة، رغم إقرارهم بالشهادتين.

قال أبو عبيد القاسم بن سلَّام في هذه الحادثة :

(والمصدق بهذا جهاد ابي بكر الصديق رضي الله عنه بالمهاجرين والأنصار علي منع العرب الزكاة ، كجهاد رسول الله صلي الله عليه وسلم اهل الشرك سواء لا فرق بينهما في سفك الدماء وسبي الذرية واغتنام المال ، فإنهم كانوا مانعين لها غير جاحدين بها) .

فبين انهم كفروا بامتناعهم عنها وعدم قبولهم لها رغم اقرارهم بالشهادتين ، ولم تنفعهم لأنهم لم يحققوا شرطا من شروطها ألا وهو القبول المنافي للرد ، و ذلك بسبب الامتناع.

ومن الأدلة أيضا قوله تعالي (إنهم كانوا إذا قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرون)

وفي التفسير الميسر (إن أولئك المشركين كانوا في الدنيا إذا قيل لهم: لا إله إلا الله، ودُعوا إليها، وأُمروا بترك ما ينافيها، يستكبرون عنها وعلى من جاء بها) .

وأيضا قال سبحانه (أم آتيناهم كتابا من قبله فهم به مستمسكون بل قالوا إنا وجدنا آباءنا علي أمة وإنا علي آثارهم مهتدون وكذلك ما أرسلنا من قبلك في قرية من نذير إلا قال مترفوها إنا وجدنا آباءنا علي أمة وإنا علي آثارهم مقتدون)

قال ابن كثير

((يَقُولُ تَعَالَى مُنْكِرًا عَلَى الْمُشْرِكِينَ فِي عِبَادَتِهِمْ غَيْرَ اللَّهِ بِلَا بُرْهَانٍ وَلَا دَلِيلٍ وَلَا حُجَّةٍ: ﴿أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا مِنْ قَبْلِهِ﴾ أَيْ: مِنْ قَبْلِ شِرْكِهِمْ، ﴿فَهُمْ بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ﴾ أَيْ: فِيمَا هُمْ فِيهِ، أَيْ: لَيْسَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ، كَقَوْلِهِ: ﴿أَمْ أَنزلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا بِهِ يُشْرِكُونَ﴾ [الرُّومِ: ٣٥] أَيْ: لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ.

ثُمَّ قَالَ: ﴿بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ﴾ أَيْ: لَيْسَ لَهُمْ مُسْتَنَدٌ(١) فِيمَا هُمْ فِيهِ مِنَ الشِّرْكِ سِوَى تَقْلِيدِ الْآبَاءِ وَالْأَجْدَادِ، بِأَنَّهُمْ كَانُوا عَلَى أُمَّةٍ، وَالْمُرَادُ بِهَا الدِّينُ هَاهُنَا، وَفِي قَوْلِهِ: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾

وَقَوْلُهُمْ: ﴿وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ﴾ أَيْ: وَرَائِهِمْ ﴿مُهْتَدُونَ﴾ ، دَعْوَى مِنْهُمْ بِلَا دَلِيلٍ.

ثُمَّ بَيَّنَ تَعَالَى أَنَّ مَقَالَةَ هَؤُلَاءِ قَدْ سَبَقَهُمْ إِلَيْهَا أَشْبَاهُهُمْ وَنُظَرَاؤُهُمْ مِنَ الْأُمَمِ السَّالِفَةِ الْمُكَذِّبَةِ لِلرُّسُلِ، تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ، فَقَالُوا مِثْلَ مَقَالَتِهِمْ: ﴿كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ أَتَوَاصَوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾ [الذَّارِيَاتِ: ٥٢، ٥٣] ، وَهَكَذَا قَالَ هَاهُنَا: ﴿وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ﴾

ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ﴾ أَيْ: يَا مُحَمَّدُ لِهَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ: ﴿أَوَلَوْ جِئْتُكُمْ بِأَهْدَى مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾ أَيْ: وَلَوْ عَلِمُوا وَتَيَقَّنُوا صِحَّةَ مَا جِئْتَهُمْ بِهِ، لَمَا انْقَادُوا لِذَلِكَ بِسُوءِ قَصْدِهِمْ وَمُكَابَرَتِهِمْ لِلْحَقِّ وَأَهْلِهِ.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾ أَيْ: مِنَ الْأُمَمِ الْمُكَذِّبَةِ بِأَنْوَاعٍ مِنَ الْعَذَابِ، كَمَا فَصَّلَهُ تَعَالَى فِي قَصَصِهِمْ، ﴿فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ ؟ أَيْ: كَيْفَ بادوا وهلكوا، وكيف نجى الله المؤمنين؟)) انتهي كلامه .

8) الكفر بالطاغوت

ودليله قوله تعالي (فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقي لا انفصام لها والله سميع عليم)

وقوله (ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت)

وقوله (والذين اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها وأنابوا الي الله لهم البشري فبشر عباد)

وقول النبي صلي الله عليه وسلم كما في صحيح مسلم من حديث طارق بن أشيم

(من قال لا اله الا الله وكفر بما يعبد من دون الله حرم ماله ودمه وحسابه علي الله)

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب في كتاب الوحيد

(وهذا من أعظم ما ما يبين معني لا اله الا الله ، فإنه لم يجعل التلفظ بها عاصما للدم والمال ، بل ولا معرفة معناها مع لفظها ، بل ولا الإقرار بذلك كله ، بل ولا كونه لا يدعو الا الله وحده لا شريك له ، بل لا يحرم ماله ودمه حتي يضيف الي ذلك الكفر بما يعبد من دون الله ، فإن شك أوتردد لم يحرم ماله ودمه ، فيا لها من مسألة ما أجلها ويا له من بيان ما أوضحه ، وحجة ما اقطعها للمنازع) .

والكفر بالطاغوت الذي هو ركن من ركني لا إله إلا الله له خمسة شعب

وقال الشيخ محمد بن عبد الوهاب

(اعلم – رحمك الله تعالي – أن أول ما فرض الله علي ابن ادم الكفر بالطاغوت والإيمان بالله ....فأما صفة الكفر بالطاغوت فأن تعتقد بطلان عبادة غير الله تعالي ، وتتركها ، وتبغضها وتُكفّر أهلها ، وتعاديهم).

فتكفر بالوثن ، وبعبادة الوثن ، وبمن عبد الوثن وتشهد عليهم بالانسلاخ من الملة الحنيفية ودخولهم في ملة الكفار .

ودليل ذلك قوله تعالي في سورة الممتحنة : (قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ – أي من الرسل وأتباعهم الموحدين - إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ - أي كفرناكم - وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ ۖ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ)

وهذا هو معني لا إله إلا الله فإنها تضمنت نفيا وإثباتا ، فالنبي صلي الله عليه وسلم لما أمر الاقوام بالتوحيد لم يقل لهم قولوا الله إله ، فإن الإثبات المحض لا يمنع المشاركة ، غير أنهم لم

يكونوا ملحدين بل كانوا عبادا لله ولكنهم كفروا لما سووا بين الله سبحانه وبين خلقه في العبادات بحجة أنها تقربهم إلي الله بالشفاعة ونحوها ، كما يحصل عند القبور الان من الاستشفاع بالأموات من الأنبياء والأولياء.

بل قال لهم النبي صلي الله عليه وسلم : قولوا لا إله إلا الله ، فتضمنت النفي والإثبات

نفي استحقاق العبادة عن كل ما سوي الله عز وجل سواء كان ملكا مقربا أو نبيا مرسلا ، وأن العبادة باطلة ، وأن من فعل ذلك فقد خرج من الإسلام ، فهذا معني النفي.

والإثبات أن تثبت جميع العبادات – وهي كل ما يحبه الله من الاقوال والأعمال الظاهرة والباطنة – لله وحده ، فهذا الإثبات.

فقول الشهادة إنما ينفع صاحبه اذا اعتقد شرائطها السابقة وحققها قولا وعملا و يعلم معناها ويعمل بمقتضاها .

إذا تبين هذا فاعلم أن الشرك ينقسم ثلاثة أقسام بالنسبة الى أنواع التوحيد وكل منها قد يكون أكبر وأصغر مطلقا وقد يكون أكبر بالنسبة الى ما هو أصغر منه ويكون أصغر بالنسبة إلى ما هو أكبر منه ، والشرك علي الضد من تعريف التوحيد ، فهو التسوية بين الله وبين خلقه في شيء من حقوقه وخصائصه ، وحقوق الله العبادات ، وخصائصه اسماؤه وصفاته ، أو بمعني آخر هو جعل شيء من حق الله أو خصائصه لغيره .

القسم الأول الشرك في الربوبية :

وهو نوعان :

أحدهما شرك التعطيل :

1. **وهو أقبح أنواع الشرك كشرك فرعون إذ قال وما رب العالمين**
2. **ومن هذا شرك الفلاسفة القائلين بقدم العالم وأبديته وأنه لم يكن معدوما أصلا بل لم يزل ولا يزال والحوادث بأسرها مستندة عندهم إلى اسباب ووسائط اقتضت إيجادها يسمونها العقول والنفوس**
3. **ومن هذا شرك طائفة أهل وحدة الوجود كابن عربي وابن سبعين والعفيف التلمساني وابن الفارض ونحوهم من الملاحدة الذين كسوا الإلحاد حلية الاسلام ومزجوه بشيء من الحق حتى راج أمرهم على خفافيش البصائر .**

4. ومن هذا شرك من عطل أسماء الرب وأوصافه من غلاة الجهمية والقرامطة

النوع الثاني شرك من جعل معه إلها آخر ولم يعطل أسماءه وصفاته وربوبيته :

كشرك النصارى الذين جعلوه ثالث ثلاثة وشرك المجوس القائلين باسناد حوادث الخير الى النور و حوادث الشر إلى الظلمة ومن هذا شرك كثير ممن يشرك بالكواكب العلويات ويجعلها مدبرة لأمر هذا العالم كما هو مذهب مشركي الصابئة وغيرهم .

قلت ويلتحق به من و جه شرك غلاة عباد القبور الذين يزعمون أن أرواح الأولياء تتصرف بعد الموت فيقضون الحاجات ويفرجون الكربات وينصرون من دعاهم ويحفظون من التجأ اليهم ولاذ بحماهم فإن هذه من خصائص الربوبية كما ذكره بعضهم في هذا النوع .

القسم الثاني الشرك في توحيد الأسماء والصفات :

وهو أسهل مما قبله وهو نوعان :

أحدهما : تشبيه الخالق بالمخلوق كمن يقول يد كيدي وسمع كسمعي وبصر كبصري واستواء كاستوائي وهو شرك المشبهة .

الثاني : اشتقاق أسماء للآلهة الباطلة من أسماء الإله الحق قال الله تعالى ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في أسمائه سيجزون ما كانوا يعملون قال ابن عباس يلحدون في أسمائه يشركون وعنه سموا اللات من الاله والعزى من العزيز .

القسم الثالث الشرك في توحيد الإلهية والعبادة :

قال القرطبي أصل الشرك المحرم اعتقاد شريك لله تعالى في الإلهية وهو الشرك الأعظم وهو شرك الجاهلية ويليه في الرتبة اعتقاد شريك لله تعالى في الفعل وهو قول من قال إن موجودا ما غير الله تعالى يستقل بإحداث فعل وإيجاد وإن لم يعتقد كونه الها)

انتهي من كلام القرطبي

وهو نوعان :

احدهما :

الشرك الأكبر وهو جعل شيء من حق الله لغيره ، أو بمعني آخر هو التسوية بين الله وبين خلقه في شيء من حقوقه وخصائصه سبحانه ، و التسويةالمراد بها التسوية في صرف

العبادة وإرادة غير الله بها ، وليس المراد التسوية في عدد العبادات المجعولة لغير الله كما أو كيفا بل رف عبادة واحدة في لحظة واحدة من اللحظات لغير الله يحبط عمل العبد ولو وحد لله في باقي العبادات الأخرى في باقي لحظات حياته الأخرى وانما المراد بالتسوية ما قلته ،

ومثال الشرك الأكبر أعاذنا الله منه أن يجعل لله ندا يدعوه كما يدعو الله ويسأله الشفاعة كما يسأل الله ويرجوه كما يرجو الله ويحبه كما يحب الله ويخشاه كما يخشى الله - وهو الشرك الاكبر - وبالجملة فهو أن يجعل لله ندا يعبده كما يعبد الله وهذا هو الشرك الأكبر وهو الذي قال الله فيه واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وقال ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت وقال تعالى ويعبدون من دون الله مالا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله قل أتنبئون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الأرض سبحانه وتعالى عما يشركون وقال تعالى الله الذي خلق السموات والارض في ستة أيام ثم استوى على العرش ما لكم من دونه من ولي ولا شفيع أفلا تذكرون والآيات في النهي عن هذا الشرك وبيان بطلانه كثيرة جدا .

الثاني :

الشرك الأصغر قال ابن القيم كيسير الرياء والتصنع للمخلوق وعدم الإخلاص لله تعالى في العبادة بل يعمل لحظ نفسه تارة ولطلب الدنيا تارة ولطلب المنزلة والجاه عند الخلق تارة فلله من عمله نصيب ولغيره منه نصيب ويتبع هذا النوع الشرك بالله في الألفاظ كالحلف بغير الله وقول ما شاء الله وشئت ومالي إلا الله وأنت وأنا في حسب الله وحسبك ونحوه وقد يكون ذلك شركا أكبر بحسب حال قائله ومقصده هذا حاصل كلام ابن القيم وغيره .

وقد مثَّل للشرك الأصغر ببعض أفراده ، و قد عرّفه العلماء بتعريفات عدة فقيل أنه كل ما حكم الله عليه في كتابه وعلي لسان رسوله أنه شرك ولكن ثبت بالأدلة الأخري أنه لا يخرج صاحبه من الملة وهذا قد ذكرت أدلته وضابطه في كتابي (مسألة الإيمان) فراجعه غير مأمور، وقيل كل ما كان مؤديا للشرك الأكبر وهو قول من قال أن المعاصي من الشرك وفي هذه المسألة تفصيل لا يأتيك هنا ، و التعريف الصحيح والأعم وهو الذي ينضبط أنه ما كان فيه معني التنديد أي التنديد الأصغر بان يُجعل في المخلوق شيء من الندية ولكن لا يصل لحد صرف العبادة له كالحلف بغير الله والرياء ونحو ذلك ، فإنها وأشباهها ليست عبادة صرفها لغيرالله فهو لم يصل متوجها بالصلاة للمخلوق لكنه قصد من صلاته التي نواها لله وصرفها له قصد من ورائها شيئا من المخلوق فهذا هو الشرك الأصغر وإن لم يكن صرفها في الأصل له ، وكذلك الحلف بغير الله وغيره من أفراد الشرك الأصغر .

قال الشيخ عبد الرزاق في رسالته (معالم التوحيد) :

ومن نواقص التوحيد التي إذا ذهبت نقص توحيد العبد ونقص إيمانه الشرك الأصغر والألفاظ التي لا يقصد الانسان حقيقتها ، وإنما تقع علي لسانه (لغوا) هذه تَنقُص التوحيد أما إذا اعتقد حقيقتها كانت شركا أكبر) انتهي كلامه .

ومنه ظاهر علي اللسان والجوارح : وهو ألفاظ وأفعال كالحلف بغير الله وما قاله ابن القيم ، ومنه بالفعل كلبس الحلقة أو الخيط والتمائم لرفع البلاء والحسد أو دفعه مما لم يُنزّل الله به سلطانا .

ويدخل فيه شرك الإرادات والنيات كالرياء والسمعة ، كأن يعمل عملا يريد أن يراه الناس عليه أو يسمعه الناس والنبي صلي الله عليه وسلم قال كما في حديث ابن عباس عند مسلم في صحيحه (من راءي راءي الله به ومن سمّع سمّع الله به) .

ومنه العمل لأجل طمع دنيوي كمن يحج ويؤذن او يؤم الناس لأجل المال ، قال ابن القيم (وأما شرك الارادات والنيات فهذا البحر الذي لا ساحل له وقلّ من ينجو منه) .

- والفرق بين حكم الشرك الأصغر والأكبر :

أن الأصغر يخرج من الملة والاصغر لا يخرجه ولكن ينقص التوحيد ، والمشرك الشرك الاكبر مخلد في النار أما صاحب الشرك الأصغر لا يُخلّد صاحبه فيها إن دخلها ،والأكبر يحبط جميع الأعمال بخلاف الأصغر لا يحبط إلا العمل الذي خالطه خاصة علي تفاصيل تأتي في باب الرياء ، والشرك الاكبر يبيح الدم والمال بخلاف الأصغر فصاحبه مسلم أو مؤمن بإيمانه فاسق بما معه من شرك أصغر ، والشرك الأصغر أكبر من الكبائر كما قال ابن مسعود (لأن أحلف بالله كاذبا أحب إليّ من أن أحلف بغيره صادقا) رواه عبد الرزاق في مصنفه .

لكن اتفق الشرك الأكبر والأصغر فيي أنهما لا يغفران يوم القيامة إن مات العبد دون توبة منهما ودليل عدم مغفرة الشرك الأصغروأنه ليس كالكبائر التي يكون صاحبها تحت مشيئة الله إن شاء عذبه وإن شاء عفا عنه ، أن قوله تعالي في النساء (إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد افتري إثما عظيما) وقوله (إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا) آيات عامة لأن أن وما دخلت عليه في تأويل مصدر يعم كل شرك أي لا يغفر الإشراك به ، بالإضافة إلي العموم الذي في الحديث القدسي الصحيح (يا ابن آدم لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئا لأتيتك بقرابها مغفرة) فشيئا نكرة في سياق النفي تعم كل شرك أيضا ، فالشرك الأصغر لا يغفر إلا في حالة واحدة فقط وهي حالة ما إذا غلبت كفة الحسنات علي كفة السيئات فالشرك الأصغر مع أن الراجح فيه أنه لا يغفر يوم القيامة لعموم

الايات والحديث السابق إلا أنه يدخل في الموازنة وهو قول ابن تيمية والسعدي فلا نقول لا بد أن يعذب به ولو غلبت الحسنات علي السيئات بل يغفر في هذه الحالة الوحيدة ، وأما إذا غلبت كفة السيئات علي الحسنات وكان منها شرك اصغر فلا بد أن يعذب به حتي يطهر لأن الراجح أن الشرك الأصغر لا يغفر

وهل يتوقع أن تغلب كفة السيئات كفة الحسنات مع البراءة من كل شرك ؟ أقول لك لا يكاد يكون العبد مدمنا الكبائر ومصرا علي الصغائر ثم يسلم من الشرك بل يكون في قلبه من رجاء غير الله وخوف غير الله والتعلق بغير الله والمحبة لغير الله والتوكل علي غيره ما هو معدود من شركه الذي حمله عليه ذنبه الذي ركن إليه وتهاون به والتذّ بمواقعته فصار من آثاره سلب التوحيد الكامل وهذا موجب الخوف من الذنوب فإن العبد الموحد التوحيد الحق يخشي من عاقبة أن يتهاون في ذنبه حتي يسلبه توحيده فإن حفظ التوحيد أدني حصونه اجتناب السيئات ،أما الذي يكثر من المعاصي فإنه ربما يحال بينه وبين الشهادة بسبب ذنوبه ، وهذ من نفيس العلم أن تعلم أن تكميل التوحيد أدني حصونه اجتناب السيئات .

فمن كمل توحيده لا يكاد يقع في محرمات ، وإذا وقع في بعضها لم يحصل منه إصرار عليها بل يسارع بالتوبة ويجد أمر التوبة ميسرا جدا عليه

بل هو نفسه يكره الوقوع في الشهوات والشبهات هو نفسه يبغضها

فيحبب الله إليه الإيمان ويزينه في قلبه ويكره إليه الكفر والفسوق والعصيان فيجعله الله من الراشدين

فالتوحيد أدني حصونه اجتناب السيئات

فالموحد ليس للشيطان عليه سبيل

الطاعات يتلذذ بها والمعاصي بأشكالها يكرهها ويكره ارتكابها بقدر ما يكره أن يحرق بالنار بل أشد

ولهذا الموحد هو أقوي الناس فعلا لا تؤثر عليه شهوة ولا تحيره شبهة ولا يتعلق قلبه بمخلوق

فهو بالله ولله ومع الله

لكن قوة التوحيد وتكميله هذا لا يتأتي إلا بالعلم أعني العلم بالتوحيد وبمسائله ولهذا نشرحه لنفهمه ونعرف كيف نكون من أصحاب التوحيد الكامل .

و إن استرسل الموحد في معصية وأصابه الغرور بتوحيده فلا يكاد يسلم من الشرك

فبقدر قوة توحيدك لا تكاد تعصي ، وبقدر استرسالك في المعاصي ينقص توحيدك من حيث شعرت أو لم تشعر

قال في ذلك ابن القيم في مدارج السالكين في هذه المسألة الخطيرة ما نصه - معقبا علي حديث المغفرة مع قراب الأرض خطايا - :

((فاعلم أن هذا النفي العام للشرك - أن لا يشرك بالله شيئا البتة - لا يصدر من مصر على معصية أبدا ، ولا يمكن مدمن الكبيرة والمصر على الصغيرة أن يصفو له التوحيد ، حتى لا يشرك بالله شيئا ، هذا من أعظم المحال ، ولا يلتفت إلى جدلي لا حظ له من أعمال القلوب ، بل قلبه كالحجر أو أقسى ، يقول : وما المانع ؟ وما وجه الإحالة ؟ ولو فرض ذلك واقعا لم يلزم منه محال لذاته !.

فدع هذا القلب المفتون بجدله وجهله ، واعلم أن الإصرار على المعصية يوجب من خوف القلب من غير الله ، ورجائه لغير الله ، وحبه لغير الله ، وذله لغير الله ، وتوكله على غير الله ما يصير به منغمسا في بحار الشرك ، والحاكم في هذا ما يعلمه الإنسان من نفسه ، إن كان له عقل ، فإن ذل المعصية لا بد أن يقوم بالقلب فيورثه خوفا من غير الله ، وذلك شرك ، ويورثه محبة لغير الله ، واستعانة بغيره في الأسباب التي توصله إلى غرضه ، فيكون عمله لا بالله ولا لله ، وهذا حقيقة الشرك .

نعم قد يكون معه توحيد أبي جهل ، وعباد الأصنام ، وهو توحيد الربوبية ، وهو الاعتراف بأنه لا خالق إلا الله ، ولو أنجى هذا التوحيد وحده ، لأنجى عباد الأصنام ، والشأن في توحيد الإلهية الذي هو الفارق بين المشركين والموحدين .

والمقصود أن من لم يشرك بالله شيئا يستحيل أن يلقى الله بقراب الأرض خطايا ، مصرا عليها ، غير تائب منها ، مع كمال توحيده الذي هو غاية الحب والخضوع ، والذل والخوف والرجاء للرب تعالى .

وأما حديث الدواوين فإنما فيه أن حق الرب تعالى لا يئوده أن يهبه ويسقطه ، ولا يحتفل به ويعتني به كحقوق عباده ، وليس معناه : أنه لا يؤاخذ به البتة ، أو أنه كله صغائر ، وإنما معناه أنه يقع فيه من المسامحة والمساهلة والإسقاط والهبة ما لا يقع مثله في حقوق الآدميين) انتهي كلام ابن القيم من المدارج .

وخلاصته أن أحاديث المغفرة بالشهادة مع الإتيان بقراب الأرض خطايا ليس فيها إلا تحقيق أثر التوحيد في مغفرة الذنوب لا تحقيق الصورة المذكورة فيه لانتفائها شرعا كما قال ابن القيم ، وإنما مراد قوله تعالي لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئا لأتيتك بقرابها مغفرة المراد هو تقريب المعني ، يعني أن ما دام أصل التوحيد موجودا فهو عرضة لأن يغفر الله له ذنبه وإن نقص كمال توحيده ، لكن لا يكون موحدا محققا كمال التوحيد مع كل هذه الذنوب لكن يبقي أصله فيغفر له ذنبه فهذا من بركة التوحيد ، فإن قيل كيف وقد قرر ابن القيم أن لا بد أن يكون متلطخا بشرك أصغر من رجاء غير الله ومحبة غير الله وتعلق القلب بغير الله والشرك الأصغر لا يغفر كما تقدم فأقول لك هذا في حالة إدمان الكبائر والإصرار عليها ، أما ما دون ذلك فالصورة متصورة وهي التي فيها الحديث .

وهذه المغفرة تؤيد أن من أنواع الشفاعات شفاعة لعدم دخول النار لمن استحقها وإن قال بعض العلماء كابن القيم أنه لا دليل عليها ، لكن ابن تيمية ذكرها وهو الصحيح وأدخلها تحت عموم قول الرسول صلي الله عليه وسلم شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي ، ويؤيدها أيضا ما سبق من أن التوحيد يغفر الله به جميع الذنوب ولو أتي بقراب الأرض خطايا نعم توحيده لا يكون كاملا كما قررناه ، لكن هذا في حالة إدمان الكبائر والإصرار عليها، وفي الحديث إمكان مغفرة الذنوب لمجرد وجود أصل التوحيد .

مع أني أقول أنه لا يمتنع أن يكون عنده كبائر غالبة علي الحسنات مع عدم وجود شرك أكبر ولا أصغر وهذا في حالة ما إذا برئ من الشرك بنوعيه لكن قل عمله الصالح كأن يضيع وقته في المباحات مع وجود كبيرة ما في ميزانه بقيت عليه لم يتب منها ، أو بمعني آخر لا يكون مدمنا للكبائر فإن إدمانها والإصرار عليها هو الذي يتسلل به الشرك للقلب كما قال ابن القيم أما أن لا يكون مصرا فهذا يتصور في حقه السلامة من الشرك كله مع رجحان كفة السيئات فيغفر ذنبه إن شاء الله لتوحيده فهذا هو المعني المراد من الحديث .

وكل حجة احتج بها المحتجون علي مغفرة الشرك الأصغر فمردودة ؛ فمن ذلك قولهم أن الشرك أكثر ما يطلق في الشرع فالمراد به الشرك الأكبر قلنا وما يدريكم أن الشرك المراد في هذا الأقل المراد به الأصغر ، ومن حججهم أيضا قولهم لوجود الفرق بين الشرك الأكبر والأصغر فنقول نعم الفرق موجود وقد قدمت لك أيها القارئ هذه الفروقات بين نوعي الشرك ، فأقول لهم الفرق نعم موجود في أمور لكن ما يدريك أنه موجود في مسألتنا وهي أنه يغفر بالشفاعة ؟وأنه تحت المشيئة ؟ فهذا يحتاج إلي دليل خاص ، فالصحيح أن الشرك الاصغر لا

يغفر وأن السيئات إن غلبت علي الحسنات فصاحبها يؤاخذ ولا شفاعة لأن آية النساء صريحة محكمة في أن الشرك كله لا يغفر ، وإن كان لا يغفر وقد غلبت السيئات علي الحسنات فلا بد أن يعذب حتي يطهر غير أن حديث المغفرة مع قراب الأرض خطايا صريح في العموم ؛ فالأصغر لا يغفر لأن شيئا نكرة في سياق النفي فتعم كل شرك وقد اشترط سبحانه عدم الشرك للمغفرة ، لكن إن وجد شرك أصغر لكن لم تغلب السيئات علي الحسنات بل كانت الحسنات غالبة فالصحيح أنه يغفر في هذه الحالة كما تقدم.

ومن الأمثلة علي الشرك الأصغر ما قاله ابن القيم (الشرك الأصغر كيسير الرياء والتصنع للمخلوق وعدم الاخلاص لله تعالي في العبادة بل يعمل لحظ نفسه تارة ولطلب الدنيا تارة ولطلب المنزلة والجاه تارة فله من عمله نصيب ولغيره منه نصيب ويتبع هذا النوع الشرك بالله في الألفاظ كالحلف بغير الله وقول ما شاء الله وشئت وما لي الا الله وأنت وأنا في حسب الله وحسبك وأنا متوكل علي الله وعليك وقد يكون هذا شركا اكبر بحسب حال قائله ومقصده)

ومن الشرك في الاسماء والصفات مع النوعين اللذين ذكرهما :

3. تسمية الله بما لم يسم به نفسه .

4. شرك التعطيل المتقدم في شرك الربوبية .

5. تمثيل الخالق بالمخلوق أو المخلوق بالخالق ، والتمثيل هو المشابهة التامة خلافا للتشبيه .

ونفي الصفات عن الله سبحانه شرك من وجوه منها :

1. **أن تعطيل صفات الرب سبحانه شرك في الربوبية ؛ لأن كل موجود فلا بد له من صفات ومن لا صفات له فهو معدوم ، كما قال الدارمي في نقضه علي بشر المريسي ، للأأنهم لما نفوا صفاته فقد عطلوه في الربوبية وأشركوا به فيها لأنهم بذلك شبهوه بالمعدوم ,**

2. **غير أنهم يعبدون ربا غير ربنا المتصف بصفات الكمال سبحانه فيعبدون ربا لا يتكلم بنفيهم صفة الكلام عنه سبحانه ، ولا يد له ولا عين له !**

كما قال ابن خزيمة في كتابه (التوحيد وإثبات صفات الرب)

(ومن كان معبوده غير سميع ولا بصير فهو كافر بالله السميع البصير يعبد غير الخالق الباري الذي هو السميع البصير) .

وقال عبد الله بن أحمد في (السنة)

(من زعم أن الله لا يتكلم فهو يعبد الأصنام)

3. **والتعطيل ونفي صفات الله شرك لأن النافي لم يعطل إلا بعد أن مثّل فرارا منه من شنعة التمثيل ، وليس إثبات أهل السنة الكرام لصفات الله بتمثيل بل هم الممثلة ، لأننا نثبت بغير تشبليه ولا تمثيل ولا تعطيل ولا تحريف .**
4. **غير أن النافي لم يحقق ركن الإثبات الذي سبق ذكره فإنهم نفوا دون إثبات فلم يحققوا ركن التوحيد في ذلك فمن أتي بركن واحد من الركنين فقد أشرك لأنه لم يوحد غير أنهم بنفي الصفات شبهوه بالأقطع بنفي صفة اليد وبالأعمي بنفي العين ، تعالي الله عما يقولون .**

انتهت المقدمة بين يدي شرح كاب التوحيد أسأل الله أن ينفع بها .

فهرس هذه المقدمة التيي وضعتها بين يدي شرحي لكتاب التوحيد المسمي (الجامع المفيد شرح وتحرير مسائل كتاب التوحيد)

-توحيد العبادة ٣

-توحيد الأسماء والصفات ٣-٥

-ما كان مشتركا بين الله وبين خلقه يكون توحيده فيه بإثبات الكمال المطلق من نفي التشبيه والتمييل والتحريف والتعطيل٤

-توحيد الربوبية توحيد الله بأفعال نفسه ، وأما نسبة الخلق للعبيد في حديث المصورين فليس إيجادا بعد عدم وإنما مجرد تحويل ٤

-ذكر في القران منه أربعة معان لاسم الرب ، وهو يدور علي ثلاثة معان في اللغة ٤

-وسمي دين الإسلام توحيدا لأن مبناه علي هذه الاقسام الثلاثة ٥

-وينقسم قسمة ثنايية باعتبار ما يجب علي العبد لتوحيدالقصد والطلب وتوحيد المعرفة والاثبات ٥

-تقسيم ابن القيم للتوحيد لتوحيد علمي خبري اعتقادي ، وتوحيد عملي ٥

-توحيد العبادة في القران أكثر بكثير من النوعين الاخرين ٦

-مشاهد الخلق فيما يتعلق بحق الله من التوحيد علي ثلاثة مراتب ٦

-دليل تقسيم التوحيد ذلك التقسيم هو الاستقراء ٧

-شرح الأقسام الثلاثة من الكتاب الفذ تيسير العزيز الحميد ٧-٩

-القران كله في توحيد العبادة باعتبارات ثلاث ٩- ١٠

-وكل ما سوي الاقسام الثلاثة فراجع الي إحداها لكت أهل البدع يفردونه له لهوي ومفاسد ابتداع ذلك

وان توحيد الحكم ماعلق بأقسام التوحيد الثلاثة ١٠

-واعلم ان جميع الرسل دعوا اقوامهم الي التوحيد كله باقسمه الثلاثة ولم يهمشوا الربوبية ولا الاسماء والصفات لن محل النزاع في العبادة لايمان المشركين ببعض الربوبية والاسماء ١٠

-من كلام السلف في تقسيم التوحيد وهو رد علي من أنكر ذلك من المبتدعة ١١-١٣

-بيان حقيقة شرك الجاهلية ومحل النزاع بين الرسل جميعا وبين اقوامهم وذلك بالنظر لحالهم ودينهم وكيفية شركهم الذي أحل دماءهم واموالهم ١٣- ١٦

-كان بين ادم ونوح عشرة قرون كلهم علي التوحيد ختي حصل الشرك باموات الصالحين ود وسواع ويغوث ويعوق ونسر فأرسل الله اليهم نوعا الا يعبدوا الا الله ١٦

-ادلة ذلك اية البقرة وحديث خلقت عبادي حنفاء كلهم ١٧

-حقيقة دين الاسلام عبادة الله وحده ١٨

-لا يوصف بالموحد الا من جاء بالتوحيد باقسامه الثلاثة مجتمعة ١٨

-واعلم ان الرسل دعوا الي التوحيد كله ولم يهمشوا الربوبية ولا الاسماء والصفات لكن مخل النزاع كان في العبادة ٢٠

-وليس معني اقرارهم بالربوبية الاقرار بجميع مفرداتها بل شركهم حاصل فيها ايضا ١٩

-العلاقة بين اقسام التوحيد وان توحيد الربوبية يستلزم توحيد العبادة ، وتوحيد العبادة يتضمن توحيد الربوبية ، وكذلك في الشرك وكلام مهم لحافظ حكمي في المعارج٢٠

-نقض شبهة المشركين بأن الله كفر المشركين لكفرهم بالربوبية لا العبادة ! ٢١-٢٢

-نقض شبهة مشركي العصر إذا نصحتهم بإفراد الله في العبادة كطلب المدد وحذرتهم من الشرك في الدعاء عامة قالوا أنهم يعلمون ان الحسين او غيره لا يمدد مددا ٢١

-نقض شبهة المسركين بزعمهم أن مشركي العرب الذيو بعث فيهم النبي صلي الله عليه وسلم كفروا بانمار البعث ٢٣

-نقض شبهتهم في تسويتهم بين الرب والإله حتي يثبتوا أنه لا فرق بين الربوبية والألوهية اكتفاء منهم بالربوبية مع الشرك في العبادة ٢٣

-اسم الرب والإله من الأسماء التي اذا افترقت اجتمعت واذا اجتمعت افترقت ووجه الفرق بينهما ٢٣

-حفظ التوحيد أدني حصونه اجتناب السيئات ، كلام ابن القيم الذي ذكره في مدارج السالكين في هذه المسالة مهم جدا وهو

أن تكميل التوحيد أدني حصونه اجتناب السيئات

فمن كمل توحيده لا يكاد يقع في محرمات ، وإذا وقع في بعضها سارع بالتوبة ووجد أمر التوبة ميسرا جدا عليه

بل هو نفسه يكره الوقوع في الشهوات والشبهات هو نفسه يبغضها

فيحبب الله إليه الإيمان ويزينه في قلبه ويكره إليه الكفر والفسوق والعصيان فيجعله الله من الراشدين

فالتوحيد أدني حصونه اجتناب السيئات

فالموحد ليس للشيطان عليه سبيل

الطاعات يتلذذ بها والمعاصي بأشكالها يكرهها ويكره ارتكابها بقدر ما يكره أن يحرق بالنار بل أشد

ولهذا الموحد هو أقوي الناس فعلا لا تؤثر عليه شهوة ولا تحيره شبهة ولا يتعلق قلبه بمخلوق

فهو بالله ولله ومع الله ، لكن قوة التوحيد وتكميله هذا لا يتأتي إلا بالعلم أعني العلم بالتوحيد وبمسائله ولهذا نشرحه لنفهمه ونعرف كيف نكون من أصحاب التوحيد الكامل.

إن استرسل في معصية وأصابه الغرور بتوحيده فلا يكاد يسلم من الشرك

فبقدر قوة توحيدك لا تكاد تعصي ، وبقدر استرسالك في المعاصي ينقص توحيدك من حيث شعرت أو لم تشعر ٤٨وما بعدها

- حديث لو أتيتني بقراب الارض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئا لأتيتك بقرابها مغفرة إنما المراد منه تقريب المعني بتحقيق أثر التوحيد قي مغفرة الذنوب لا تحقيق هذه الصورة المذكورة لانتفائها شرعا كما قال ابن القيم في المدارج ٤٨ ـ ٥٠

-وهذه المغفرة مع هذه الذنوب دليل صحيح يؤيد أن من أنواع الشفاعات شفاعة لعدم دخول النار لمن استحقها وإن أنكر ذلك ابن القيم لكن أثبته ابن تيمية في كتبه وهو الصحيح فإن قيل كيف ذلك وعلي ما تقدم لا بد ان يكون متلبسا بشرك أصغر أقول نعم هذا في حالة إدمان الكبائر والإصرار فلا يخلو من شرك أصغر كما قرره ابن القيم ، لكن لا يمتنع أن يكون عنده كبائر غالبة مع عدم وجود شرك في حالة خلوصه من الشرك بنوعيه لكن قل عمله الصالح مع وجود كبائر باقية عليه لم يتب منها ٥٠

-رد حجج من أثبت مغفرة الشرك الأصغر ولو غلبت السيئات علي الحسنات ٥٠

- صور الشرك في الآسماء والصفات ٥١